وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية التربية
قسم علوم القران والتربية الاسلامية

# البدء والابتداء بين القرآن ونهج البلاغة

بحث تقدمت به الطالبة آمنة حسن كاظم وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس
الى كلية التربية ,قسم علوم القران والتربية الاسلامية

إشراف : د. جواد حسين الورد

1438هجري 2017ميلادي

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**( وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)**

**صدق الله العلي العظيم**

**القصص:88**

**فهرس البحث**


| المحتويات | الصفحة |
| --- | --- |
| المقدمة | أ |

| | |
|---|---|
| **الفصل الاول** | |
| **-لبدء والابتداء لغة** | **1-3** |
| **البدء والابتداء اصطلاحا** | **4-7** |
| **الفصل الثاني (الموارد القرآنية بين المفهوم والنهج)** | |
| **الآيات** | **8** |
| **السياق النصي** | **9-35** |
| **الفصل الثالث (موارد البدء والابتداء في النهج)** | |
| **-النصوص البلاغية والسياق النصي** | **36-58** |
| **الفصل الرابع الاقتباس بين القرآن الكريم ونهج البلاغة** | **59-66** |
| **الخاتمة** | **67-68** |
| **المصادر والمراجع** | **69-74** |


**الاهداء**

**إليك يامن غبت عن ابصارنا**

**إليك يامن ابصرناه بقلوبنا**

**إليك يا إمام زماننا ومهدينا**

**أهدي هذه البضاعة المزجاة اليك**

**سيدي ومولاي وأرجو القبول...**

**الشكر والتقدير**

**((كن عالما،،فإن لم تستطع فكن متعلما ،،فإن لم تستطع فأحب العلماء،،فإن لم تستطع فلا تبغضهم،،))**

**بعد رحلة بحث وجهد واجتهاد تكللت بإنجاز هذا البحث نحمد الله عز وجل على نعمه التي من بها علينا فهو العلي القدير ،كما لا يسعنا الا أن نخص بأسمى عبارات الشكر والتقدير الى الدكتور جواد الورد والدكتور حيدر جبار دفتر لما قدمه لنا من جهد ونصح ومعرفة طيلة انجاز هذا البحث .**

**كما اتقدم بالشكر الجزيل لكل من اسهم في تقديم يد العون لإنجاز هذا البحث واخص بالذكر والدي العزيز ،كما اتقدم بالشكر الى اساتذتنا الكرام الذين أشرفوا على تكوين دفعة ثانية لعلوم والقران ،وتحياتي وشكري الى كل الايادي البيضاء التي قدمت لنا يد العون ولاسيما موظفين المكتبة المركزية ومكتبة التربية ،ولولا وجودهم لما احسسنا بمتعة العمل وحلاوة البحث ولما وصلنا الى ما وصلنا إلية فلهم منا كل الشكر**

## المقدمة

**الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله والصلاة والسلام على من كان نبيا وآدم بين الطين والماء وعلى ذوي قرباه الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعلى الخيرة من أصحابه المنتبجين ..**

**عنوان البحث الذي اعمل عليه هو البدء والابتداء بين القران الكريم ونهج البلاغة والغاية منه هو الوصول الى حقيقة البدء والابتداء في القران الكريم ونهج البلاغة للأمام علي عليه السلام وهل يوجد ترابط بين القران والنهج من خلال هذا المفهوم وهذا هو سبب اختياري للموضوع هو رغبتي بمعرفة حقيقة البدء والابتداء في اللغة والآيات القرآنية التي وردت بها هذه الكلمة وفي نهج البلاغة .**

**وقد قسمت البحث الى فصول فكان الفصل الاول حول معرفة البدء والابتداء في اللغة واما الفصل الثاني دار حول تتبع الآيات القرآنية التي وردت فيها هذه الكلمة واعتمدت في اظهار الآيات على المعجم المفهرس لألفاظ القران لمحمد فؤاد عبد الباقي والفصل الثالث هو تتبع الخطب والرسائل للأمام علي عليه السلام في نهج البلاغة والتي وردت فيها مفردة البدء والابتداء واستخرجت الخطب من خلال كتاب الكاشف عن الفاظ نهج البلاغة للمصطفوي والفصل الرابع كان عبارة عن مقارنه بين القران والنهج وكيف ان الامام علي عليه السلام وظف هذا المفهوم في خطبه ورسائله وهل يوجد ربط بين القران والنهج.**

**وان اهم الصعوبات التي واجهتها اثناء البحث هو ضيق الوقت وعدم حصولي علي مصادر كنت اروم الحصول عليها وعدم فهمي لبعض مفردات الفصل الرابع في البحث.**

**كل الشكر والتقدير الى من ساعدني في كتابة البحث وانجاز هذا العمل وبالأخص الدكتور جواد الورد**



# الفصل الاول

## البدء والابتداء

## لغة واصطلاحا

**البدء والابتداء لغةَ:**

**قال الخليل (ت 170 ه)ان لفظة بدا تعني الظهور حيث قال (بدا, بدو :بدا الشي يبدو بدوا وبدوا اي ظهر ...والباديه : اسم الارض التي لا حضر فيها اي لا محلة فيها دائمة, والبدء مهموز , وبدا الشي يبدا اي يفعله قبل غيره, والله يبدا الخلق وابدا واحد . والبدئ :الشي المخلوق وربما استعملوه في امر عجيب , قالو امر بدى اي عجيب, والبداء يكنى عنه الفعل ابدى يبدى . والبدئ من الرجال السيد الذي يعد في اول من يعد في سادات قومه. واعطيته بدءا من اللحم , وجمعه ابداء... والبداء المفاصل , والواحد بدى... ورجل مبدوء اي مجدور اصابه الجدري ... وبئر بدى: ليست بمادية, ابتدأت فحفوت بديئا حديثا (1).**

**فيما ذهب ابن فارس (ت 395 ه) في مقايس اللغة الى ان لفظة بدا هي من الباء والدال والهمزة وهي من افتتاح الشي , يقال بدأت بالأمر وابتدأت , من الابتداء . والله المبدئ والبادي . ويستشهد بقوله تعالى**

**(إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ)13البروج ,وقوله تعالى (كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)**

**ثم يقول ما قاله الخليل بانه بدى للأمر العجيب وكذلك يقال للسيد البد لا نه يبدا بذكره . ثم يضيف فيقول : ابدأت من ارض الى اخرى , اذا خرجت منها الى غيرها . وكذلك يضيف لفظة البدا يقول : هي النصيب , لأن كل ذي نصيب يبدا بذكره . ثم يضيف ايضا لفظه البدوء بانها مفاصل الاصابع ويعلل ذلك قائلا : انما سميت بدوءا لبروزها وظهورها . ثم يذكر المعنى الذي ذكره الخليل حيث يقول : وقولهم بدى فهو مبدوء اذ اجدر او حصب (2) .**

---

1- العين للخليل :1/119-120
2- ينظر مقايس اللغة ابن فارس :1/212-213

**1**

**بينما يشير الزمخشري (ت 538 ه)الى لفظه بدا هي من اول الشي وهذا مقارب الى المعنى الذي ذكره ابن فارس من قوله ان بدا هي بمعنى الابتداء . ثم يقول ان الله بدا الخلق وابتداه , وافعل هذا بدا وبادى بدء اي تريد اول الشي . وابدا في الامر واعاد , والله المبدئ والمعيد . ثم يضيف ان معنى فلان ما يبدى وما يعيد اذ لم يكن له حيلة ,ثم يشير الزمخشري الى المعاني الذي ذكرت في المقاييس والعين ويضيف معنى اخر حيث يقول :ابداء الجزور وبدوءها وهي خير اعضائها , وبدا يفعل كذا نحو انشا يفعل(1).**

**اما ابن منظور (ت 711 ه) فقط تطرق الى لفظه بدا قائلا : في اسماء الله عز وجل المبدئ :هو الذي انشا الاشياء واخترعها ابتداء من غير سابق مثال . والبدء : فعل الشي اول . وبدا به وبداه يبدوه بدءا وابداه وابتداه . وان البديئة والبداءة والبداهة : اول ما يفجوئك . وبديت بالشيء قدمته او ابتدأت به . وان البدء والبدي : هو الاول وبادي الراي اوله وابتداؤه . وفي التنزيل العزيز : ( وما نراك اتبعك الا الذين هم اراد لنا بادي الراي) اي فيما ظهر من الراي وبدا الله الخلق بدءا وابداهم بمعنى خلقهم . وفي التنزيل العزيز : (الله يبدا الخلق ) وفيه قوله عز وجل : (كيف يبدى الله الخلق )وقال تعالى ( وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده) وقوله عز وجل :( انه هو يبدا ويعيد) فالأول من البادي , والثاني من المبدئ وكلاهما صفه لله جليله .والبدي : المخلوق وبئر بدى كبديع , والجمع بدو. وبدي ,على فعيل ,اي عجيب .والبدي :الامر البديع ,والبدء :السيد وقيل الشاب المستجاد الراي المستشار .والبدء المفصل :والبدء: العظم بما عليه من اللحم ,والبدء: خير عظم في الجذور وبدى الرجل يبدا بدءا فهو مبدوء : جدر او حصب .وبدا من ارض الى ارض اخرى وابدا : خرج منها الى غيرها . وابدا الرجل :كنايه عن النجو والاسم البداء, وابدا الصبي :خرجت اسنانه بعد سقوطها , والبداة :هنة سوداء كأنها كم لا ينتفع بها.(2)**

---

1- ينظر اساس البلاغة للزمخشري:1/49
2- ينظر لسان العرب لابن منظور :1/333-335

**2**

**واطلعت ايضا على ما قال الزبيدي (ت 1205 هجري) فانه لا يختلف عن من سبقوه كالحليل وابن فارس والزمخشري وابن منظور بل جاء بنفس المعاني )(1).**

وبعد اطلاعي على ب معجمات اللغة العربية ومنها معجم العين للخليل بن احمد الفراهيدي ومقياس اللغة لابن فارس ومعجم اساس البلاغة للزمخشري ومعجم لسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزبيدي وجدت في هؤلاء الخمسة ان لفظة بدأ من حيث الدلالة اللغوية تعني الاول وهي من الابتداء وصاحب العين يذكر بدأ بدوا وبَدَا الشيء اي ظهر وهنالك تقارب كبير بين هؤلاء العلماء في معنى كلمة بدأ حيث انهم شبه متفقين على بعض المعاني (لبدأ )ومشتقاتها .ومن مواطن الاتفاق هي ان البُدئ هو الامر العجيب والبدءُ من الرجال هو السيد الذي يعد في اول قومه ورجل مَبدوء اي مجدور اصابه الجدري وقول ذلك عودا على ذي بدءاً اي فعل ذلك في عودته وبداءته ,وبئر بدئَ ليست بعادية يبل هي بئر جديدة الحفر والله المبدئُ والمعيد وهو من بدأ الخلق وانشأه .

ومن خلال الاطلاع على ما سبق يمكننا ان نقف على معنى الَبْدءِ وهو فعل الشيء اول ومن اسماء الله المُبدئ اي الذي انشأ الاشياء واخترعها ابتداءا من غير سابق مثال

---

1- ينظر تاج العروس للزبيدي :1/137-142



البدء والابتداء اصطلاحا:

يعرف الراغب الاصفهاني (ت 425ه)البدءُ والابتداء

هو :تقديم الشيء على غيره ضربا من التقديم كما في قوله تعالي (وبدأ خلق الانسان من طين ) وقوله تعالى (كيف بدأ الخلق )

وقوله تعالى (الله يبدأ الخلق )وقوله تعالى (كما بدأكم تعودون )

فبدأ الشيء هو منه يتركب ,او منه يكون ,فالحروف مبدأ الكلام والخشب مبدأ الباب ,والله هو المبدئ والمعيد اي هو السبب في المبدأ والنهاية (1)

فيما تطرق الجرجاني (ت 816ه) الى تعريف الابتداء قائلا (الابتداء هو اول جزء من المصراع الثاني وهو عند النحوين تعرية الاسم من العوامل اللفظية للإسناد نحو(زيدُ منطلق )وهذا المعنى عامل فيهما ويسمى الاول مبتدأ ومسندا اليه ومحدثا عنه والثاني خبرا وحديثا ومسندا .

والابتداء العرفي :يطلق على الشيء الذي يقع قبل المقصود فيتناول

( الحمد له ,بعد البسملة ) (2).

(والبداء :ظهور الرأي بعد ان لم يكن )(3).

---

1- ينظر مفردات الفاظ القران ,الراغب الاصفهاني /113
2- التعريفات /الجرجاني/19
3- نفس المصدر/39



قال المناوي (ت 131ه) (ان الابتداء يعني تقديم الشيء على غيره ضربا من التقديم كما قال الراغب اي يطلق على ما قيل المقصود فيشمل الحمد بعد البسملة ,والابتداء في الشعر :هو اول جزء من المصراع الثاني (1)
فيما ذهب التهانوي (ت 1185ه)إن الإبتداء هو لغة الافتتاح وفي عرف العلماء يطلق على معانٍ منها ذكر الشيء قبل المقصود وهو المسمى بالابتداء العرفي ومنها ما يكون بالنسبة الى جميع ما عداه وهو المسمى بالابتداء الحقيقي ومنها ما يكون بعض ما عداه وهو المسمى بالابتداء الإضافي وهو على قياس المعنى القصر الحقيقي والإضافي فالابتداء بالبسملة حقيقي وبالتحميد إضافي ولا يَردُ ما قيل إن كون الإبتداء بالتسمية حقيقياً غير صحيح إذاً الإبتداء الحقيقي إنما يكون بأول أجزاء البسملة, إذا الإبتداء الحقيقي بالمعنى المذكور رأينا في أن يكون بعض أجزائها متصفاً بالتقديم على بعض ,كما إن اتصاف القرآن بكونه أعلى مَرتْبةِ البلاغة بالنسبة الى ما سواه رأينا أن يكون سوره أبلغ من بعض(2) .

(1) التوقيف على مهمات التعاريف/المناوي/3
(2) كشاف اصطلاحات الفنون/التهانوي/1/245/246/247

5

كما تطرق العلامة المصطفوي (ت 1426ه) إلى تعريف البدء حيث قال بدأ الشيء وأبداه: أنشأه واخترعه. وإن الأصل في مادة بدأ: هو الابتداء والافتتاح وبهذا اللحاظ يُطلق على كل مبتدأ ومفتتح, فالبدئ الأمر العجيب الذي لا سابق له فهو مبتدأ في موضوعه, ومثله إذا كان معنى الحدوث إذا لم يكن مسبوقاً بغيره. وكذلك الإنشاء والاختراع من دون سابقة, ومنه قوله تعالى(فبدأ بأوعِيَتِهِم -وهُمْ بَدَأوُكم أوّل مرّة) أي الشروع والابتداء وكذلك قوله تعالى(كيف بدأكم تعودون-اللهُ يُبدأ الخَلقَ ثم يعيده)أي الإنشاء والاختراع والابتداء بإيجادهم(1)

(1)ينظر التحقيق في كلمات القرآن /العلامة المصطفوي/1/81

بعدما رأيت المعاجم الاصطلاحية ومنها المفردات والتعريفات للجرجاني وكتاب التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي والتحقيق في كلمات القرآن للعلامة المصطفوي وجدت في هذه المعاجم الخمس هناك تقارب في التعريف الاصطلاحي حيث قالوا إن لفظة بدأ هي من الابتداء وعرفوا الابتداء بأنه لفظ يطلق على الشيء الذي يقع قبل المقصود فيناول (الحمد له) بعد البسملة وكذلك عرفوه من وجهة نظر اهل الأدب بأن الابتداء هو أول جزء من المصراع الثاني من الشعر, وعرفوه ايضاً عند النحويين هو تعريت الاسم من العوامل اللفظية للإسناد. وعرف الراغب الابتداء قائلاً: هو تقديم الشيء على غيره ضرباً من التقديم كما في قوله تعالى) :وبدأ خلق الإنسانِ من طين) والشيخ المصطفوي تطرق الى تعريف البدا حيث قال إنها بمعنى الإنشاء والاختراع واستشهد بقوله تعالى :

(اللهُ يُبدأُ الخلقَ ثُم يُعيدُ).

من خلال اطلاعي على تعريف البدء والابتداء في اللغة والاصطلاح يبدو لي إن تعريف البدء والابتداء من حيث اللغة والاصطلاح متقاربين الى درجة كبيرة

إنها تعني الافتتاح والابتداء بالشيء أول فأنه من حيث اللغة البَدْءِ يعني فعل الشيء أوّل.

وفي الاصطلاح عرفوا الابتداء بأنه لفظ يطلق على الشيء الذي يقع قبل المقصود فيتناول الحمد بعد البسملة.

وعرفه الراغب قائلاً: إن الابتداء هو تقديم الشيء على غيره فهو ضرباً من التقديم, فكلا المعنيين مترابطان.

**الفصل الثاني**
**تفسير الآيات القرآنية**
**البدء والابتداء بين القران ونهج البلاغة**

**النصوص :**

1- **قال تعالى (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ(الاعراف 28**
2- **قال تعالى(أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(التوبة 13**

3- قال تعالى(إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ(يونس 4

4- قال تعالى(فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)يوسف 76

5- قال تعالى (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ( الانبياء 104

6- قال تعالى(أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ( العنكبوت 19

7- قال تعالى(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ( العنكبوت 20

8- قال تعالى (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ( السجدة 7



قبل الدخول في سياق الآيات المباركة من خلال كتب التفسير لابد لنا من الوقوف على معنى السياق في اللغة والاصلاح واقسام السياق وكيف يستخدم المفسرون السياق واي انواعه يعينهم.

السياق لغة:-

جاء في اللسان لابن منظور بان السوق: معروف ساق الابل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا وهو سائق وسواق ..وقوله تعالى (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ) وفي التفسير سائق يسوقها الى محشرها وشهيد يشهد عليها بعملها وقيل الشهيد هو عملها نفسه ,واسقاها واستقاها فانساقت...وقد انساقت وتساوق الابل تساوقا اذ تتابعت وكذلك تقاودت في مقاودة ومتساوقة ,والمساوقه المتابعة ,كأن بعضها يسوق بعض, والأصل في تساوق تتساوق كأنما لضعفها وفرط هزلها تتخاذل ويتخلف بعضها عن بعض, والسياق المهر )( 1).

.وقد ذكرت نفس هذه المعاني في اغلب المعاجم اللغوية 2

1-لسان العرب /ابن منظور/10/166
2-ينظر جمهرة اللغة /ابن دريد/2/853,ومجمل اللغة لابن فارس/2/479
الصحاح للجوهري /4/150,تاج العروس للزبيدي /25/479-475
ومعجم الوسيط /1/464-465



السياق اصطلاحا :-
لقد عرف السياق على انه (ضم الكلمات بعضها البعض ,وترابط اجزائها واتصالها او تتابعها وما تحويه من معنى وهي مجتمعة في النص(1).
هذا ما ذهب اليه اصحاب المعاجم الاصطلاحية الا انني ارى ان التعريف الاعم والاشمل والادق والاقرب الى الصواب هو ان السياق (يدل على كل ما اجتمع الى شيء من جنسه ,وتعالق معه ,حتى داخلا واشتبكا في نسق خاص ,تعالق مقصودا من فاعل له سمت التحكم والاحاطة في ضل ضرف معين ,بقصد غاية ما(2) .

1- معجم مصطلحات العربية في اللغة والادب لمجدي وهبة/288,وقريب لذلك في المعجم الفلسفي لجميل /1/682
2- دلالة السياق في آيات الاحكام لحيدر جبار دفتر/رساله ماجستير /2/جامعة القادسية كليه الآداب

**انواع السياق وانماطه :-**

**ذكر الدارسون المحدثون انواعا كثيرة للسياق منها :**

**السياق العاطفي ,وسياق الموقف, والسياق الاجتماعي والسياق الداخلي والسياق الخارجي ,وانما تنضوي هذه الانواع تحت نوعين هما :**

1- **السياق الداخلي ويسمي ايضا السياق اللغوي ويشمل الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والقصصي .**
2- **السياق الخارجي :ويسمى ايضا السياق اللغوي ويشمل سياق المقام والسياق الاجتماعي والسياق التاريخي وسياق الحال وسياق الموقف.**

**السياق عند المفسرين .**

**يبدو ان المفسرين استعملوا النظرية**

**عند تعاملهم مع النصوص القرآنية المختلفة سواء**

**بالألفاظ المفردة داخل سياق الآية الواحدة او استحضار النص القرآني كاملا اي على مستوى الالفاظ داخل السياق وخارجه ,فضلا عما يحيط بالنص من ظروف تتمثل بمعرفة اسباب التزول ,وهي الاحداث والوقائع الملابسة للنص القرآني وبمعرفتها يزول الاشكال في فهم كثير من النصوص ,**

ويتصل بذلك مغرفة المكي والمدني والترتيب الزمني للنزول والآيات مما يمثل اهتماهم بالشق الاجتماعي للغة 2
. لذلك يعد السياق عند المفسرين اهم القرائن الحالية في فهم الكلام ,والقران الكريم بوصفه كلاما فان الاحاطة بسياق آياته وسوره تضع المفسر في جو النص وتعينه على فهم المعنى والاهداف القرآنية ,ويبرر الناحية الايجازية وروعة النسق في آيات الكتاب المبين)3 اذ لا يصح لمفسر ان يأخذ اية من آيات الكتاب العزيز ويفسرها بمعزل عن ظروفها الزمنية وعلاقتها بما قبلها وبعدها .

---

1- ينظر السياق انماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني بحث خليل خلف بشير العامري /6/جامعة البصرة /كليه الآداب
2- دلالة السياق في آيات الاحكام /حيدر جبار /7/رسالة ماجستير /جامعة القادسية
3- ينظر التراث المجيد لمحمد عزة دروزة /204



ويتضح ان المفسرين استخدموا واستثمروا عناصر السياق المقالية والمقامية وتمثل عندهم السياق المقامي والاجتماعي بمعرفتهم اسباب النزول وان معرفة هذه الاسباب لها فوائد كثيرة منها معرفة الحكمة الباعثة على التشريع ,وتخصيص الحكم, والوقوف على المعنى الصحيح للنص ,ومنها ان يكون اللفظ عاما ,ويقوم الدليل على التخصيص, ومن الفوائد ايضا دفع توهم الحصر ,ومعرفة الناسخ والمنسوخ 1. اما السياق اللغوي او المقالي فقد استغلوه المفسرون وافادوا منه في الوصول الى المعنى القرآني من خلال تفسير نعاني الآيات القرآنية ,وخصوصا في بعض الآيات احد الالفاظ المشتركة الدلالة فقد كان السياق عنصرا مهمل عند المفسرين (2 ).

1- ينظر البرهان للزركشي /1/45-46
2- ينظر مكامن السياق في البحث الدلالي عند المفسرين /د. حسن حامد الصالح (بحث)(1-22)



جاء في تفسير قوله تعالى (كما بدأكم تعودون ) اقوال :فقد تطرق الطبري (ت 310ه) الى هذه الآية الكريمة فقال: اختلف فيها اهل التأويل فقال بعضهم :تأويله كما بدأكم اشقياء وسعداء كذلك تبعثون يوم القيامة ,ويقول :ان الله بدا خلق ابن ادم مؤمنا ,وكافرا ثم يعيدهم اليه عز وجل على هذا الأساس كما قال تعالى (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن (التغابن 1) . وهذا المعنى واضح في كثير من الروايات التي نقلت عن اهل التأويل فعن ابن عباس قال: يبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا .
وقال ابو جعفر: واولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب ,القول الذي قاله من قال معناه : كما بداكم بعد ان لم تكونوا شيئا تعودون بعد فنائكم خلقا مثله ,يحشركم الى يوم القيامة ,فعن ابن عباس عن النبي (ص) قال: يحشر الناس عراة غرلا, واول من يكسى ابراهيم عليه السلام ثم قرأ (كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين )الانبياء/104
ويتضح لي ان الطبري اعتمد في تفسيره هذه الآية على سياق النص الكلي وهو تفسير القران بالقران حيث قام بتوضيح هذه الآية المباركة من خلال آيات اخرى منها سورة التغابن وهو الذي خلقكم منكم كافرا ومنكم مؤمن ,حيث استفاد من هذه الآية وايه اخرى كما في سورة الانبياء :كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كما فاعلين ) في اظهار معنى الآية حيث اكدت هذه الآيات على ان الانسان يبعث

يوم القيامة كما بدأ الله خلقه المؤمن مؤمنا والكافر كافرا كما تدل عليه الآية المباركة واكدت هذه الحقيقة الآية الاخرى(كما بدأنا اول خلق نعيده) وهذا هو وعد الله عز وجل ومن اوفى من الله بالوعد . واعتمد كذلك على السياق الخارجي وهو التفسير بالمأثور من احاديث الرسول صلى الله عليه وال بيته وسلم حيث بين كيف يبعث الانسان يوم القيامة حين قال صلى الله عليه وسلم (يحشر الناس عراة عزلا).ويرجع الطبري القول القائل من ان معناه :ان الخلق يعودون الى الله عز وجل يوم القيامة خلقا احياء كما بدأهم في الدنيا خلقا احياء يقال منه :بدأ الله الخلق يبدؤوهم وابدأهم يبدئهم ابداء بمعنى خلقهم لغتان فصيحتان (1).

---

1-ينظر جامع البيان في تأويل القران للطبري /5/465-468



ويرد صاحب اللطائف (ت 65ه)ان قوله تعالى (كما بدأكم تعودون )يعني ان من قسم الله له بالسعادة وكانت فطرته على السعادة ,كانت عاقبته الي السعادة, ومن كانت قسمته الشقاوة كذلك كانت عاقبته الشقاوة ويستشهد بقول الرسول صلى الله عليه واله وسلم (من كان بحالة لقي الله بها(1).

.ويبدو لي ان القشيري اعتمد في تفسيره لهذه لأية على السياق الخارجي من خلال التفسير بالمأثور ففسر هذه الآية معتمدا على قول الرسول صلى الله عليه واله وسلم (من كان بحالة لقي الله بها)اي يفهم من قوله من كان من الناس مؤمن لقي الله مؤمنا ومن كان كافرا لقي الله كافرا .

اما الزمخشري (ت 538هجري) يتطرق الى قوله تعالى (كما بدأكم تعودون)قائلا: اي كما انشاكم ابتداء يعيدكم ,احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق, والمعنى :انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالك فاخلصوا له العبادة) (2).

---

1- لطائف الاشارات للقشيري .1/331
2- ينظر الكاشف عن حقائق التنزيل وعيون التاويل للزمخشري:2/96

وقد ذكر الطبرسي(ت 548ه)ان قوله تعالى (كما بدأكم تعودون ) يتصل بما قبله وقيل في وجه اتصاله بما قبله وجوه:
احدها -وادعوه مخلصين فأنكم مبعوثون ومجازون وابعد ذلك في عقولكم فاعتبروا بالابتداء ,واعملوا كما بدأكم في الخلق الاول فانه يبعثكم فتعودون اليه في الخلق الثاني .
ثانيها- انه يتصل بقوله (فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون (الاعراف 125) فقال كما بدأكم تعودون اي ليس بعثكم اشد من ابتدائكم ,وعن الزجاج قال :وانما ذكره وجه الاحتجاج عليهم لانهم كانوا لا يعتبرون بالبعث.
وثالثها- انه ملام مستأنف اي يعيدكم بعد الموت فيجازيكم كما بدأنا من تراب واليه تعودون ,وروي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال تحشرون يوم القيامة حفاة عراة) (1) .
وبذلك يظهر ان الطبرسي اعتمد على السياق النصي الكلي وتفسير القران بالقران فقد فسر هذه الآية باعتماده على ايه اخرى من سورة الاعراف وقال ان الآية (كما بداكم تعودون)تتصل بما قبلها وهي الآية (فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون اشارة الى الارض وبدأ خلق الانسان من تراب واليه يعود

---

1-ينظر مجمع البيان في تفسير القران للطبرسي/3/635

والطبرسي هو الاخر معتمد على السياق الخارجي وهو التفسير بالمأثور حيث استدل على تفسير هذه الآية بقول الرسول صلى الله عليه واله وسلم (تحشرون يوم القيامة حفاة عراة)
وجاء الرازي (ت 606هجري)بنفس المعاني التي تطرق لها ممن سبقوه ويتطرق الي ما قاله الطبري ويضع ذلك في قولين واستخدم السياق النصي الكلي وهو تفسير القران بالقران والسياق الخارجي وهو التفسير بالمأثور من حديث النبي صلى الله عليه واله وسلم واقوال اهل التأويل كابن عباس وغيره كما فعل الكبرى ويستشهد بالآية المباركة والحديث نفسه(1) .
ويبدو ان قوله تعالى (قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون)جاء ردا على من انكروا اعادة وانكروا البعث بعد الموت فمن خلال سياق الآية يتضح ان مراد الله عز وجل من قوله (كما بداكم تعودون) انه قادر على الاعادة والإيجاد وهو عز وجب يأمر رسوله صلوات ربي عليه وال بيته بان يقول لمن انكروا البعث بان الله تعالى قادر على ايجادهم ودليل قدرته بدأ خلقهم فهو تعالى كما بدأ ايجادهم من عدم فهو قادر ان يعيدهم.

---

1- مفاتيح الغيب للفخر الرازي 13/227



ذكر في تفسير قوله تعالى( الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا بإخراج الرسول وعم بدءوكم اول مرة أتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين) اقوال فقد قال الطبري ان معنى (وهم بدءوكم اول مرة )اي: هم الذين بدءوكم اول مرة بالقتال ,وعن مجاهد اي انها نزلت عندما قاتل قريش حلف محمد صلوات ربي عليه وسلامة (1)
يبدو ان الآية المباركة نزلت بسبب نقض قريش العهد بينها وبين النبي صلى الله عليه واله وسلم وان نوع السياق هو سياق موقف او مقام اي ان الآية نزلت بسبب هذا الموقف. آما القشيري فانه يذكر ان هذه الآية نزلت فيها تحريض من قبل الله عز وجل على القتال لا على مقتضى الانطواء على الحقد لاحد ,فان من غضب لنفسه فمذموم الوصف ,ومن غضب لله فان نصر الله قريب (2).

ويظهر ان القشيري اعتمد على سياق النص القرآني المبارك في بيان تفسير قوله تعالى (وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)

2- ينظر جامع البيان في تأويل القران /الطبري/10/331
3- لطائف الاشارات /القشيري/2/410



بينما الزمخشري يقول :يعني قوله تعالى(وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) اي: وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة ,لان رسول الله صلى الله عليه واله جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به, فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال, فهم البادون بالقتال والبادئ اظلم ,فنكثوا العهد واخرجوا الرسول صلي الله عليه واله والبدء بالقتال من غير موجب(1)

يبدوان الزمخشري استخدم سياق النص لبيان تفسير الآية المباركة من خلال سياق الآية الكريمة اظهر معنى الاية.

اما الطبرسي فانه يرى ان قوله تعالى(وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) تعني بدء قريش بنقض العهد عن ابن اسحاق وقيل بدءهم بقتال حلفاء النبي صلى الله عليه واله وسلم من خزاعة ,وعن الزجاج قيل بدأهم بالقتال يوم بدر(2).

يتضح ان سبب نزول هذه الآية المباركة نقض قريش او كفار قريش العهد الذي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه واله وسلم فان سياق الآية هو سياق الموقف او المقام ,وقد ورد في التفسير الكبير للرازي نفس المعاني التي وردت في تفسير الطبري والكشاف واللطائف ومجمع البيان .3

بعد اطلاعي على تفسير الآية المباركة وجدت ان تفسيرها هو انها نزلت بسبب نقض قريش العهد الذي كان بينها وبين الرسول صلى الله عليه واله وسلم فهم بدءو بنقض العهد وقتال حلفاء النبي صلى الله عليه واله وسلم وهذا سياق موقف او مقام فلهذا السبب نزلت الاية المباركة فيتوقف معناها على هذا

---

1- ينظر الكاشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل /الزمخشري /2/178
2- ينظر مجمع البيان في تفسير القران للطبرسي/5/17
3- ينظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي/5/535



اما تفسير قوله عز وجل (اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤا الخلق ثم يعيده) فقد ذكر الطبرى قائلا: آن معنى قوله عز وجل (انه يبدؤا الخلق ثم يعيده)هو ان ربكم يبدأ انشاء الخلق واحداثه وايجاده ثم يعيده فيوجده حيا كهيئة يوم ابتداه بعد فنائه وبلائه, كما ينقل عن مجاهد في روايات عديده.
وقرأت قرأه الامصار ذلك وانه يبدأ الخلق بكسر الالف من (إنه) على الاستئناف كانه اراد :حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ف(ان) حينئذ تكون رفعا(1).
ومن هذا يظهر ان الطبري اعتمد على السياق الداخلي للآية المباركة في بيان معناها وهو السياق اللغوي من خلال همزة (أن)فأصبحت الآية على الاستئناف فهي كلام مستأنف بما قبله وهو كذلك يعتمد على السياق الخارجي من خلال التفسير بالمأثور من الروايات . وقال القشيري ان قوله تعالى (انه يبدؤا الخلق ثم يعيده)من كان له في جميع عمره نفس على وصف ما ابتدأ الخلق سبحانه به ففي الاشارة :تكون لذلك اعادة ,وانشدوا :كل نهر فيه ماء قد جرى فإليه الماء يوما سيعود(2).
ويبدوا ان القشيري استخدم السياق اللغوي في تفسير الآية المباركة من خلال سياق الآية

---

1- ينظر جامع البيان في تأويل القران للطبري/530/6-531
2- لطائف الاشارات للقشيري /2/5



وتطرق الزمخشري الى قوله تعالى ( انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ) قال : " انما استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه . وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم ,وهو منصوب بالفعل الذي وعد الله :اي وعد الله وعدا بدا الخلق ثم اعادته ,والمعنى :اعادة الخلق بعد بدئه ,وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدا ,ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا بدء الخلق "1 فيتبين ان الزمخشري استعمل السياق اللغوي في تفسيره هذه الآية ويظهر هذا واضحا وجليا من خلال اعتماده على اللغة باعتبار ان القران هو نزل باللغة العربية وهي لغة النبي الاكرم صلى الله عليه واله وسلم

والقوم قريش الذي ارسل اليهم وهم عرب .

وقال الطبرسي ان قوله تعالى ( انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ) اي : (يبتدئ الخلق ابتداء ,ثم يعيدهم بعد موتهم ويجزئ الذين امنوا وعملوا الصالحات اي يؤتيهم جزاء اعمالهم (2)

ويبدو ان الطبرسي اعتمد على سياق النص القرآني في تفسير النص نفسه فمن خلال الآية المباركة تعني ان الله هو بدا الخلق وهو يعيدهم اليه عز وجل .

1- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل /الزمخشري /2/225
2- مجمع البيان في تفسير القران للطبرسي /5/117

وقال الرازي (ان معنى قوله تعالى :(انه يبدأ الخلق ثم يعيده )بالكسر وقرأ بعضهم بالفتح ،قال الزجاج من كسر الهمزة من (إن) فعلى الاستئناف وفي الفتح وجهان :الأول أن يكون التقدير :إليه مرجعكم جميعا لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده .

والثاني: أن يكون التقدير :وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم اعادته وقرئ(يبدئ) من أبدأ ،وقرئ "حق إنه يبدأ الخلق" كقولك :حق ان زيدا منطلق )(1)

يظهر ان الرازي لا يختلف عمن سبقوه فهو اعتمد الأسلوب او السياق اللغوي في اظهار وتفسير معنى الآية المباركة.

ويبدو ان قوله تعالى (اليه مرجعكم جميعا وعد الله جقا إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين امنو وعملوا الصالحات بالقسط والذين لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) يعني من خلال سياق الآية الكريمة إن الله سبحانه وتعالى وعد ووعده الحق في اعادة الخلق لأنه تعالى هو من بدأ الخلق واليه مرجع الخلق أجمعهم ليجزي الذين امنو بالعدل والكافرين لهم عذاب أليم بسب كفرهم بالله عز وجل.

---

1- مفاتيح الغيب :الفخر الرازي:6/205



اما قوله تبارك وتعالى (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف)

فقد ذكر الطبري ان قوله "فبدء بأوعيتهم قبل وعاء أخيه "عن أبي جعفر: إن قوله هذا تعالى ذكره :ففتش يوسف "عليه السلام" أوعيتهم ورحالهم طالبا بذلك صواع الملك ،فبدأ في تفتيشه بأوعية إخوته من ابيه فجعل يفتشها وعاء وعاء قبل وعاء اخيه من أبيه وأمه فأنه أخر تفتيشه ،ثم فتش اخرها وعاء أخيه فستخرج الصواع من وعاء أخيه(1)

يظهر إن سياق الآية السياق القصصي فهو سياق داخلي فأن الآية المباركة تتكلم عن قصة نبي الله يوسف "عليه السلام"

بينما صاحب اللطائف لم يتطرق لهذه الآية على حده بل إنه اخذ يسرد القصة وقال :فلما استخرج يوسف الصاع من وعاء أخيه بسط الإخوة فيه لسان الملامة، وبقي بنيامين فلم يكن له جواب كأنه اقر بالسرقة ،ولم يكن ذلك صدقا إذ لم يكن سارقا ولو قال لم افعل لأفشى سر يوسف الذي احتال معهم لأجله حتى يبقيه معه ( 2).

وبهذا يبدوا إن القشيري يعتمد على السياق ذاته وهو السياق الداخلي للآية وهو سياق القصة .

---

1-ينظر:جامع البيان في تأويل القرآن :لأبي جرير الطبري:7/259

2-ينظر:لطائف الإشارات :القشيري:2/85



وقال الزمخشري(قيل :قال لهم من وكل بهم لابد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بأوعيتهم بتفتيشها قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة عنه حتى بلغ وعاءه فقال: ما أضن هذا أخذ شيئا فقالو :والله لا نتركه حتى تنظر في رحلة فأنه

أطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه (1).

والسياق هنا هو السياق القصصي الداخلي ايضا لانهما قصة من بين أنواع القصص التي ذكرها الله عز وجل التي تتكلم عن انبياءه "عليه السلام "

بينما ذكر الطبرسي :إن تفسير قوله تعالى (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه)أي بدأ يوسف في التفتيش بأوعيتهم لإزالة التهمة ثم استخراجها يعني السقاية من وعاء أخيه ،وإنما بدأ بأوعيتهم لإزالة الشك لأنه لو بدأ بوعاء أخيه لعلموا أنه هو الذي جعلها فيه )(2).

وهذا هو نفسه نوع السياق لأنه سياق داخلي قصصي والقصة واضحة .

أما الرازي فلا يختلف عما سبقوه وجاء بنفس المعاني والتفسير ذاته وكذلك نوع السياق (3).

وبعد اطلاعي على تفسير هذه الآية تبين لي أن سياق هذه الآية ثابت وهو السياق الداخلي القصصي فأنها تتكلم عن قصة نبي الله يوسف "عليه السلام".

---

1-ينظر:الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل :للزمخشري:2/335

2-ينظر:مجمع البيان في تفسيرالقرآن الطبرسي :5/326

3-ينظر:مفاتيح الغيب :الفخرالرازي:6/488-489



وتفسير قوله تعالى )ويوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين)

قال الطبري إن قوله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده) فالكاف التي في قوله تعالى "كما" من صلة نعيد ،تقدمت قبلهما ،ومعنى الكلام :نعيد الخلق عراه حفاه غرلا يوم القيامة ،كما بدأنا اول مرة في حال خلقناهم في بطون أمهاتهم هذا ما روى عن الرسول "صلى الله عليه واله وسلم" (1).

انني ارى الطبري وكعادته يفسر الآيات القرآنية بالمأثور عن النبي الاكرم حيث استفاد من قول الرسول "صلى الله عليه واله "(تحشرون يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً" ) في بيان الآية المباركة وهو بهذه الصورة يحشر الناس كما بدأهم الله يعودون آليه عز وجل وأقوال اهل التأويل كابن مجاهد وابن عباس وهذا هو السياق الخارجي .

أما القشيري فأنه ذكر قوله تعالى هذا ولم يبين قوله (كما بدأنا أول خلق نعيده) وانما قال إن السماء كانت سقفا مرفوعا حيث كان الأولياء تحتها ،والارض كانت فراشا إذا كانوا عليها ،فإذا ارتحل الاحباب عنا تخرب ديارهم .

على العادة بين الخلق من خراب الديار بعد مفارقة الاحباب(2) .

ويتضح إن القشيري فسر النص بشكل ظاهري ولم يتطرق الى كل كلمة في الآية المباركة فهو اعتمد على سياق النص في إظهار معناه.

---

1-ينظر:جامع البيان في تأويل القرآن :الطبري 7/95

2-ينظر:لطائف الإشارات للقشيري:2/308



وورد في الكشاف للزمخشري إن المعنى هو: أن نعيد الخلق أولا كما بدأناه تشبيها الاعادة بالأبداء في تناول القدرة لهما على السواء فأن قلت :وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه ؟فقلت أوله ايجادهم من عدم (1).

ويبدو ان الزمخشري اعتمد على السياق الداخلي للآية وهو سياق النص فمن خلال النص أظهر معنى الآية فأن من خلال قوله تعالى "اول خلق نعيده يتضح إن الله كما بدأ الخلق فهو عز وجل قادر على اعادته .

الطبرسي لا يختلف عما ذكره الطبري بل ذكر ما قاله واستشهد بالحديث النبوي على قوله تعالى "كما بدأنا اول خلق نعيده" عندما قال الرسول الاكرم "تبعثون يوم القيامة حفاة عراة غزلا "(2) .

وهذا هو السياق الخارجي وهو التفسير بالمأثور عن النبي "صلى الله عليه واله وسلم"

والرازي يقول أما قوله تعالى :(كما بدأنا اول خلق نعيده)ففيه مسائل:-

المسألة الأولى: قال الفراء ،انقطع الكلام عند قوله تعالى ثم ابتدأ فقال (كما بدأنا) ومنهم من قال :إنه تعالى لما قال(وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون)عقبه بقوله تعالى (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب)فوصف اليوم بذلك .

---

1-ينظر :الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل :الزمخشري:2/585

2-ينظر :مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي:7/120



المسألة الثانية :يقول ما قاله الزمخشري بأن أول الخلق هو مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما ،فأن قلت :ما بال خلق منكرا ؟قلت: هو كقولك أول رجل جاءني زيد ،تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلا رجلا ،فكذلك معنى أول الخلق بمعنى أول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع (1).وبذلك اظهر الرازي معنى الآية اعتمادا على اللغة حيث قال ان الكاف في "كما" من صلة نعيد تقدمت قبلها واصبح معنى الكلام نعيد الخلق كما بدأناه اول مرة فهذا السياق سياق داخلي.

ويمكنني أن اتلمس من خلال سياق الآية المباركة أن الله عز وجل يوم القيامة يطوي السماء فأنه تعالى يعيد الخلق كما بدأه اي تعود الى الله حفاه عراة كما الرسول الأعظم محمد "صلى الله عليه واله "وهذا وعد الله عز وجل.

1-ينظر:التفسير الكبيرللفخر الرازي:22/228



وجاء في سورة العنكبوت في الآيتان التاسعة عشر والآية عشرون حيث قال تعالى(أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)وقوله عز وجل(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

وفي تفسير هذان الآيتان قال الطبري "ان يقول تعالى ذكره :اولم يروا كيف يستأنف الله خلق الاشياء طفلا صغيرا ،ثم غلاما يافعا ،ثم رجلا مجتمعا ،ثم كهلا ،يقال منه :ابدأ وأعاد ،وبدأ وعاد، لغتان بمعنى واحد.

وقوله (ثم يعيد)يقول هو يعيده من بعد فنائه وبلاه ،كما بدأه اول مرة خلقا جديد ،لا يتعذر عليه ذلك .وعن قتادة ،في قوله (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده )بالبعث بعد الموت.

وقوله (قل سيروا في الارض )يقول تعالى ذكره لمحمد "صلى الله عليه واله وسلم" قل يا محمد للمنكرين للبعث بعد الممات ،الجاحدين الثواب والعقاب :سيروا في الارض فنظروا كيف بدأ الله الاشياء وكيف أنشاها وأحدثها مبدئا ،فكذلك تعذر عليه انشأها معيدا (ثم الله ينشي النشأة الأخرة)(1).

والسياق خارجي والتفسير بالمأثور عن اهل التأويل.

1-جامع البيان في تأويل والقرآن للطبري:10/130



قد ذكر القشيري إن مراد الله من هاتين الآيتين هو ان هذه الآيات نزلت على من كانوا يشكون في بعث الخلق ،فاحتج عليهم بما أراهم اعادة فصول السنة بعد تقضيها على الوجه الذي كان في العام الماضي.

وبين ان جمع أجزا المكلفين بعد انقضاء البنيه كإعادة فصول السنة ،فكما ان ذلك سائغ في قدرته غير مستنكر فكذلك بعث الخلق .وكما في فصول السنة تتكرر أحوال العبادة في الأحوال العامة المشتركة بين الكافة ،وفي خواص أحوال المؤمنين من استيلاء شهوات النفوس ثم زوالها إلى مولاه الطاعات ،ثم حصول الفترة والعود إلى مثل الحالة الأولى ،ثم بعد ذلك الانتباه بالتوبة...

كذلك تتكرر عليهم الاحوال وأرباب القلوب تتعاقب أحوالهم في القبض والبسط ثم في الهيبة والأنس ثم في التجلي والستر ،ثم في البقاء والفناء ثم في السكر والصحو...وامثال هذا كثير وفي هذا المعنى قوله تعالى(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1)

---

1-لطائف الإشارات للقشيري:2/454-455

وقال الزمخشري :يروى بالياء والتاء ويبدئ ويبدأ ،وقوله ثم يعيده "ليس بمعطوف على يبدئ وليس الرؤية واقعة عليه ،وإنما هو اختبار على حياله بالإعادة كما وقع النظر في قوله تعالى (فنظروا كيف بدأ الخلق ثم الله بنشاه النشأة الاخرى على البدء دون الإنشاء ونحوه قولك :ما زلت أوثر فلانا واستخلفه على من أخلفه)(1)

ويبدوا إن الزمخشري يعتمد في تفسير هذه الآية على السياق الداخلي لها في بيان معناها وكذلك السياق اللغوي .

وورد في مجمع البيان للطبرسي إن قوله تعالى هذا يعني كفار مكة الذين انكروا البعث ،وأقروا بأن الله هو الخالق ،فقال :أولم يتفكروا فيعلموا كيف أبدأ الله الخلق بعد العدم ثم يعيدهم ثانيا إذا أعدمهم بعد وجودهم ،وقال ابن عباس :يريد الخلق الأول ،والخلق الآخر.

وإن ذلك غير متعذر على الله عز وجل لان من قدر على الانشاء والابتداء فهو على الإعادة أقدر .ثم خاطب محمد "صلى الله عليه واله "فقال: قل لهؤلاء الكفار سيروا في الارض ما نظروا كيف بدأ الخلق وفكروا في آثار من كان قبلكم(2)

والسياق خارجي من التفسير بالمأثور كأبن عباس وغيره

---

1-ينظر:الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل للزمخشري:3/202

2-ينظر:مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي :8/358-359



وقال الرازي (إن الله علق الرؤية بالكيفية لا بالخلق وما قال: أولم يروا أن الله يبدئ ،وأبدأ الخلق ،والكيفية غير معلومة؟

فتقول هذا القدر من الكيفية معلوم ،وهو أنه خلقه ولم يكن شيئا مذكورا وأنه خلقه من نطفة هي من غذاء وهو من ماء وتراب وهذا القدر كاف في حصول العلم بإمكان الإعادة فإن الإعادة مثلة.

والآية الثانية كانت إشارة الى العلم الحدسي وهو الحاصل من غير طلب فقال (أولهم يروا)على سبيل الاستفهام بمعنى استبعاد عدمه ،وقال في هذه الآية إن لم يحصل لكل هذا العلم فتفكروا في أقطار الأرض لتعلموا بالعلم الفكري وهذا لان الانسان له مراتب في الإدراك شيئا من غير تعليم وإقامة وبرهان له، وقد أبرز اسم الله في الآية الاولى عند البدء حيث قال:(كيف يبدئ الله)واضمره عند الاعادة وفي الآية الثانية اضمره عند البدء وأبرزه عند الإعادة حيث قال (ثم الله ينشئ)

لان في الآية الاولى لم يسبق ذكر الله فعل حتى يسند إليه البدء...

وفي الآية الثانية كان ذكر البدء مسندا الى الله فاكتفى به ولم يبرزه (1).

ويبدو ان الرازي اعتمد على السياق الداخلي والسياق اللغوي لبيان معنى هذين الآيتين.

---

1-ينظر:مفاتيح الغيب للفخر الرازي:40/25-41

31أ

ما قوله تعالى (الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين)

فقد تطرق لها الطبري قائلا :ان المراد من قوله عز وجل (وبدأ خلق الإنسان من طين)ان الله تعالى بدأ خلق آدم من طين ثم جعل نسله يعني ذريته من سلاله من الماء الذي انسل فخرج منه .

وبنحو هذا قال أهل التأويل .

عن قتادة قال :(وبدأ خلق الإنسان من طين)وهو خلق آدم ثم جعل نسله :اي ذريته من سلالة من ماء مهين ،والسلالة هي الماء المهين الضعيف .

وعن مجاهد *من ماء مهين*قال :ضعيف نطفة الرجل ومهين فعيل من قول القائل :مهن فلان ،وذلك إذا زل وضعف.

والطبري يعتمد دائما على اقوال اهل التأويل مثل ابن عباس ومجاهد وقتادة وبهذا فهو يعتمد السياق الخارجي في اظهار معنى الآية بأن الله بدأ خلق الانسان أول مرة من طين وذريته من سلالة من ماء مهين.

---

1-ينظر:جامع البيان في تأويل القرآن للطبري:12/234-235



ويقول القشيري أن الله تعالى احسن صورة كل أحد ،فالعرش ياقوتة حمراء ،والملائكة أولوا اجنحة مثنى وثلاث ورباع...فإذا انتهى إلى الانسان قال(وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين)

كل هذا ولكن وكم ابصرت من حسن ولكن عليك من الورى وقع اختياري

خلق الانسان من طين ولكن (يحبهم ويحبونه)(البقرة:152) وخلق الانسان من طين ولكن(فاذكروني اذكركم) (البينة :8)وخلق الانسان من طين ولكن(رضي الله عنهم ورضوا عنه)(المائدة :119)(1).

ويبدو ان القشيري اعتمد على سياق النص الكلي وهو تفسير بالقرآن فقد فسر هذه الآية بآيات اخرى اظهرت بين مراد الآية المباركة.

والطبرسي قال (احسن كل شيء حسنه لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة ،فجميع المخلوقات حسنه وان تفاوتت الى حسن وأحسن كما قال (ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم)... وقرئ خلقه على البدل :اي حسن خلق كل شيء وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه وسميت الذرية نسلا لانها تنسل منه :اي تنفصل منه وتخرج من صلبه.(2)

---

1-ينظر:لطائف الإشارات للقشيري:3/24

2-ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي :8/101



وقال الزمخشري وبدأ خلق الانسان من طين ،أي ابتدأ خلق آدم الذي هو أول البشر من طين كان ترابا ،ثم صلصالا ثم حيوانا ثم جعل نسله اي نسل الانسان الذي هو ادم يعني ولده من سلالة

وهي الصفرة تنسل من غيرها ويسمى ماء الرجل سلالة لأنساله من صلبه (1).

وبهذا يظهر ان الزمخشري بين معنى الآية من خلال نص الآية المباركة نفسها بأن الله عز وجل بدأ خلق الانسان من طين اي من تراب ثم جعل منه نسله من البشر من سلالته اي من صلبه.

وذكر الرازي إن قوله تعالى (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين )لما بين الدليل الدال على الوحدانية من الافاق بقوله تعالى (خلق السموات وما بينهما واتم بتوابعه ومكملاته ذكر الدليل الدال عليها من الأنفس بقوله *الذي احسن كل شيء* يعني أحسن كل شيء مما ذكره وبين ان الذي بين السموات والارض خلقه ... وهنا المراد بخلق الانسان من طين هو ادم "عليه السلام" فأنه خلق من طين ويمكن ان يقال بأن الطين ماء وتراب مجتمعات والادمي اصله مني والمني أصله غذاء والأغذية أما حيوانية أو نباتية والحيوانية ترجع الى النباتية والنبات وجوده بالماء والتراب الذي هو طين.(2)

1-ينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري:3/241

2-ينظر :مفاتيح الغيب للرازي:10/140-141



بعد ما قمت عن المفهوم البدء في القرآن الكريم وجدت إن لفظة بدأ قد وردت صريحتا مرة ومشتقتا مرة اخرى فوردت صريحة في ثلاث مواضع في القرآن الكريم كما في آية عشرون في سورة العنكبوت حيث قال تعالى (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ) والآية السابقة من سورة السجدة قال تعالى )الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين )

وجاءت مشتقة أحدى عشر مرة في القرآن الكريم منها قوله تعالى (كما بدأناكم تعودون)(الاعراف:29)وقوله تعالى (وهم بدؤكم اول مرة )( التوبة :13) وقوله تعالى (إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده)(يونس:4)

وقوله عز وجل :(فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء اخيه)(يوسف:76) .وقوله جل ثناؤه (كما بدأنا اول خلق نعيده) (الانبياء:104).وقوله تبارك وتعالى :(أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق)(العنكبوت:19).

وبعد ذلك اطلعت على تفسير هذه الآيات المباركة عند خمسة من اصحاب التفسير ومن مذاهب مختلفة وهم الطبري وهو اقدم المفسرين قد اعتمد في تفسير هذه الآيات على المأثور من اقوال الرسول "صلى الله عليه واله "واهل التأويل ممن سبقوه، والقشيري بعده اعتمد في تفسير معظم الآيات على نص الآية اي سياق الآية نفسها التي تكشف عن معناها احيانا ،

والزمخشري هو كذلك اعتمد على سياق النص وآيات فسرها عن طريق اللغة واخرى عن طريق المأثور .

والطبرسي لا يبتعد عنهم كثيرا فهو يفسر مرة بالمأثور واخرى باللغة ،والفخر الرازي يطابقهم تماما ألا في الآيات ووجدت عند هؤلاء الخمسة رغم اختلاف مذاهبهم فالطبري من أهل السنة والجماعة ،والقشيري متصوف ،والزمخشري معتزلي المذهب والطبرسي من الشيعة الأمامية ،والرازي أشعري ألا ان تفسيرهم لا يبتعد احدهم عن الاخر بل هناك تقارب كبير بين المعاني التي يظهرونها لهذه الآيات المباركة.

## المطلب الثالث

## البدء والابتداء في نهج البلاغة

## النصوص

## السياق النصي

**قال امير المؤمنين "عليه السلام" في خطبة له يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض وخلق ادم (أنشأ الخلق انشاء ،وابتدأه ابتداء) ثم يقول عليه السلام في الخطبة ذاتها (أحال الاشياء لأوقاتها ولام بين مختلفاتها وغرز غرائزها. والزمها اشباحها عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها(1)**

جاء في بيان هذه الخطبة شروح ،فقد ذكر الراوندي (ت 573ه) ان مراد امير المؤمنين "عليه السلام" من قوله "انشأ الخلق انشأ" يقال انشأ الحديث :اي رفعه وابتدأه وانشأ الله الخلق :أحدثهم على سبيل الابتداء ويقول إن حقيقة الانشاء هي الاظهار ...واحال الاشياء :أعادها وردها ،اي وقتها وخلقها في اوقاتها ،وللام في لوقاتها هي لام التخصيص ...

والغريزة الطبيعة وغرزها الله في الخلق اي ركبها فيهم ..والشج الشخص واحاط بالشيء :ملكه وحازة وبلغ علمه أفضاه وحدود الاشياء غاياتها )(2)

ويظهر ان السيد هبه الله قد وضح ما كان مراد من قول الإمام "عليه السلام" حيث قال ان الله عز وجل احدث الخلق وابتدأهم واظهر هذا الخلق ولم يكن من قبل وكل شيء خلقه الله عز وجل كان في وقته المخصص له والله احاط بكل شيء وملكه.

---

1-نهج البلاغة:خ 1

2-ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة :قطب الدين الراوندي:1/51-53



كما تطرق ابن أبي الحديد (ت 656ه)لشرح هذه الخطبة قائلا :(أنشا الخلق انشاء، وابتدأه ابتداء) كلمتان مترادفتان على طريقة الفصحاء والبلغاء كقوله تعالى (ولا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) وقوله (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ثم يذكر في شرح قول أمير المؤمنين "عليه السلام" (عالما بها قبل ابتدائها ) انها إشارة الى إنه تعالى عالم بالأشياء فيها لم يزل وقوله ومحيطا بحدودها وانتهائها اي إنه وعز وجل عالما بأطرافها ونهاياتها (1)

ويبدوا ان أبن ابي الحديد لم يفصل قول أمير المؤمنين "عليه السلام" بدقة ووضوح ولكنه اشار الى المعنى بشكل عام ويرى ان الانشاء والابتداء كلمتان مترادفتان وان الله عز وجل عالما بالأشياء قبل احداثها وقبل خلقها وعالما بنهايتها وفنائها لكون من خلقها قادر على إفنائها .

وابن ميثم البحراني (ت 679ه)فأنه لم يجد لأهل اللغة فرقا بين الإنشاء والابتداء وهو الإيجاد الذي لم يسبق بمثله ألا أنه فرقآ بين الأنشاء والابتداء صونا لكلام الأمام "عليه السلام" عن التكرار وقال ان المفهوم من الإنشاء هو الايجاد الذي لم يسبق غير الموجد اليه والمفهوم من الابتداء هو لإيجاد الذي لم يقع من الموجد قبل(2)

_____.

1-ينظر:شرح نهج البلاغة:لابي الحديد:1/80-81

2-ينظر:شرح نهج البلاغة لميثم البحراني:1/172



ان قول ابن ميثم هذا التفاتة مهمة حيث إنه فرق بين الإنشاء والابتداء وقال إن الانشاء هو الإيجاد الذي اوجده الله للخلق وهذا الإيجاد لم يسبقه غير الموجد له وهو الله عز وجل والابتداء هو الذي قام به الموجد وهو الله عز وجل لأول مرة أي لم يقع من الموجد من قبل .وقد اطلعت على شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده والدكتور صبحي الصالح فأنهم لم يتطرقوا الى شرح هذه المفردة من هذه الخطبة بل إنهما اكتفيا بفهرست النهج وبيان بعض الكلمات الغير واضحة او غير مفهومة من الخطب(1)

بينما محمد جواد مغنية (ت 1400 ه)يرى ان المراد من قول أمير المؤمنين 'عليه السلام"أنشأ الخلق إنشا وابتداه ابتدأء" هو ان الخلق هنا الكون ،وانشأه وابتدأه بمعنى أوجده على غير مثال سابق واثبت العلماء ان العالم حادث من خلال التجربة ،والله أوجد الكون أول ما اوجده من لا شيء

ويقول في توضيح قوله "عليه السلام" (عالما بها قبل ابتدائها ،محيطا بحدودها وانتهائها(

إننا نعرف اشياء وتغيب عنا اشياء ،ولا نعرف هذه الاشياء إلا بعد وجودها او عند وجود علاماتها ،فنعرف الوجه الظاهر وتغيب عنا وجوه ..

والله سبحانه يعلم كل شيء على حقيقته ومن جميع جهاته متى يوجد وكيف لأنه هو من ابدعه .(2)

---

1-ينظر:شرح نهج البلاغة محمد عبده :1/6،صبحي الصالح :1/40

2-ينظر :في ظلال نهج البلاغة :محمد جواد مغنية:1/28-29



ويبدو ان محمد جواد مغنية لم يختلف مع ابن ميثم من حيث أن معنى الإنشاء والابتداء هو ما أوجده الله على غير مثال سابق إلا انه أرتكن الى الجانب العلمي وما اثبته علماء الطبيعة من خلال التجربة بأن العالم حادث وهذا يعني ان هذا الكون هناك ما أوجده واحدثه ونشأه وأنه مخلوق وبما إنه حادث فلابد من ان هناك من اوجده الله هو من أوجد الكون من لا شيء قبله وهو تعالى يعلم كل شيء قبل خلقه وبعد خلقه ويعلم حدوده ونهاياته.

واطلعت على ما قاله الشيرازي من وجه نظر حديثة قال: إن الإمام 'عليه السلام' بين الفرق الشاسع بين الخلق الإلهي والأعمال والأفعال التي تصدر عن المخلوقات فالإنسان إذا أراد ان يقوم بعمل ولم يكن لهذا العمل من سابقه وضن وفكره وتأمله ويحتاج إلى تجارب الآخرين وخزينه الذهني والفكري بشأن ترتيب مقدمات العمل بغيه الوصول الى نتائج ،فليس هنالك من سبيل لأي من هذه الاحتمالات والذات الإلهية فما حاجة الى الفكر والتأمل فليس وجود الشيء ألا إرادته "إنما أمره شيئا ان يقول له كن فيكون...

ويتبين ان افعال الله ليست من جنس افعال العباد وتختلف عنها تماما وذلك لأنه افعاله تعالى تستند الى علمه المطلق بمصالح الاشياء ومفاسدها ،ولذلك قال "عليه السلام"*عالما بها قبل ابتدائها* ،ولا يقتصر علمه على ابتدائها وانتهائها فحسب بل هو عالم محيط بلوازمها وعللها واثارها(1).

---

1-ينظر:نفحات الولاية للشيرازي:1/70-74



واتضح لي مما قاله الشيرازي إن قوله هذا يختلف عن اراء ممن سبقوه فهو جاء بوجه نظر حديثة منطقية على العكس ممن شرح هذه الخطبة قبله فأنهم وقفوا على معنى الإنشاء والابتداء ووضحوا الكلمات اعتمادا على اللغة بينما هو أعتمد على المنطق في إظهار المعنى فأظهر معان اخرى وجديدة للخطبة فقال إن افعال الله عز وجل تختلف عن افعال العباد لان أفعاله تعالى تستند الى علمه الكامل بكل شيء على عكس المخلوق فهو لا يعلم اي شيء إلا بعد الفكر والتأمل والعناء والتعليم وبعد كل هذا لا يعرف ألا القليل والله سبحانه عالما بكل شيء قبل ابتداء خلقه وبعد ذلك إلى فنائه ونهايته.

وقال الإمام علي "عليه السلام" في خطبه ينزه فيها الله عزوجل (لم يؤوده خلق ما ابتداء ولا تدبير ما ذرأ ولا وقف به عجز عما خلق)(1).

قال ابن ابي الحديد في شرح هذه الخطبة قال(فأما قوله عليه السلام ولم يؤده خلق ما ابتدأ) الى قوله عما خلق "فهو حق لأنه تعالى قادر لذاته والقادر لذاته لا يتعب ولا يعجز ،لأنه ليس بجسم ولا قادر بقدرة يقف مقدورها عند حد وغاية بل إنما يقدر على كل شيء لأنه تعالى ذات مخصوصة يجب لها ان تقدر على الممكنات ،فيكون كل ممكن داخل تحت هذه الكلية ،والذات التي تكون هكذا لا تعجز ولا تقف مقدوراتها عند حد وغاية أصلا ويستحيل عليها التعب لأنها ليست ذات اعضاء واجزاء(2).

ارى ان ابن ابي الحديد قد اعتمد في بيان هذه الخطبة على أصل من أصول العقيدة وهو ان عز وجل ليس مجسما والذات الالهية ليست بجسم كما يقل البعض بل هو عز وجل قادر على شيء ولا يشغله او يتعبه خلق الكون الذي ابتدأ خلقه عز وجل والذات الالهية ذات خصوصية لا تعجز ولا تتعب ولا تقف مقدوراتها عند حد معين او غاية .

---

1-ينظر:نهج البلاغة:64

2-شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد:5/164

وذكر ابن ميثم البحراني ان قوله عليه السلام (لم يؤده خلق ما ابتدأ الا تدبير ما ذرأ ،يقول ان الاعياء إنما يكون لذي الاعضاء من الحيوان والله ليس بجسم ولا ذي آلة جسمانية لم يلحقه بسبب فعلة إعياء ،وإنما قال: ما ابتدأ .ليكون سلب الإعياء عنه أبلغ إذ ما ابتدأ من الافعال يكون المشقة فيه أتم وتدبيره يعود الى تصريفه لجميع الذوات والصفات دائما تصريفا كليا وجزيئا على وفق حكمته وعنايته ،ونحوه قوله تعالى(أولم يروا ان الله الذي خلق السماوات والارض ولم يعي بخلقهن) وقوله :ولا وقف به عجز عما خلق إشارة الى كمال قدرته وان العجز عليه محال(1)

والبحراني بقوله هذا لا يختلف عن ابن ابي الحديد كثيرا في قوله ان الإعياء والتعب والمشقة هي من صفات الشيء او المخلوق المجسم ذات الاعضاء ولكنه قال ان قول امير فيه كلمة ما ابتدأ فيها بلاغة اكثر في سلب الإعياء عنه عزوجل والابتداء من الافعال التي فيها مشقة.

وورد في ظلال نهج البلاغة لمغنية ان معنى قوله "عليه السلام" ولم يؤده خلق ما ابتدأ ،ولا تدبير ،وأمات وأحياء ولا قسرا وقهرا ولا لغاية تعود عليه وبلا تعب وكلل لأنه (اذا قضى امرا فإنما يقول له كن فيكون) ولا ولجت عليه شبهه فيها قضى وقدر من اين تعرض الشبهات لمن هو عالم بالذات(2).

---

1-ينظر:شرح نهج البلاغة لميثم البحراني:2/178-179

2-ينظر:في ظلال نهج البلاغة محمد جواد مغنية:2/65

ويبدو ان جواد مغنية يقترب من المعنى الذي قالوه ممن سبقوه كأبن ميثم وابن ابي الحديد هوان الله عز وجل أنشأ الكون واحكمه وقدره بلا تعب وكلل او ملل لأنه تعالى بيده كل شيء فاذا اراد شيء إنما يقول له كن فيكون بقدرته .

أما وجهة النظر الحديثة المتمثلة بمكارم الشيرازي فأنه يقول ان في هذه العبارة إشارات الى بعض الامور المهمة التي تعود جميعا الى قدرته الأزلية . الاول ان الخلق الاول الذي يتطلب قدرة اكثر لم يشق عليه سبحانه (لم يؤده من مادة اود على وزن عود بالفتح يعني الثقل،)والاخر ان ربوبية الخلق وتدبير شؤونه لم يخلق له اية صعوبة او مشكلة ،واخير ان قدرته لم تنفذ من جراء خلقه لكل هذا الخلق ،بل له ان يخلق ما لانهاية من العوالم بقوله *كن*(أنما اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون)ويمكن ان يكون في العبارة الاخيرة معنى اخر وهو ان خلق هذه المخلوقات لم يعجزه عن ارادتها وتكون العبارة في هذه الحالة تأكيد لما ورد في العبارة السابقة وهذه الصفات هي الاخرى نابعة من ذاته اللا متناهية لان العجز والتعب والثقل انما يصدق على الذات المحدودة القدرة التي تسعى للقيام بما يفوق قدرتها (1).

والشيرازي لا يبتعد عما سبقوه في بيان معنى او شرح هذه الخطبة ولكنه اشار الى بعض الامور المهمة فالأولى ان الخلق الاول للكون يتطلب قدرة اكثر وذلك لم يشق على الله سبحانه ولم يثقل عليه ابتداء الخلق والاخر ان تدبير الخلق وإدارة شؤونه لم يكن فيها اي صعوبة ومشقة على الله عز وجل ،وثالثها ان قدرته عز وجل لا تنفذ ولا تنقضي من جراء خلقه لهذا الخلق.

---

1-ينظر :نفحات الولاية للشيرازي:3/50



وذكر الإمام علي "عليه السلام" في خطبة له في وصف الدنيا ووصف اهل القبور (استبدلوا بظهر الارض بطنا ،وبالسعة ضيقا ،وبالأهل غربة ،وبالنور ظلمة. فجاءها كما فارقوها ،حفاة عراة قد ظعنوا عنها بأعمالهم الى الحياة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه "كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين")(1)

فلم يتطرق ابن ابي الحديد الى بيان هذا المقطع من الخطبة(2)

وقال البحراني اما قوله "عليه السلام" *فجاءوها كما فارقوها:اي اشبه مجيئهم إليها ووجودهم فيها وخرجوهم منها يوم مفارقتهم لها، ووجه الشبه كونهم حفاة عراة ،وهو كناية عن النفر منها ودل على ذلك استشهاده بالآية الكريمة وموضع قوله :قد ظعنوا عنها النصب على الحال.

كما انتصبت حفاة عراة والعامل فارقوها ولا يقدر مثله بعد ان جاؤوها وإن قدر مثل الحالتين السابقتين .قال الإمام الوبري :فراقهم من الدنيا إن خلقوا منها ومجيئهم اليها إن دفنوا فيها قال تعالى (هو الذي خلقكم من تراب)ثم يقول :وكان الحامل لهذا الإمام على هذا التأويل أنه لو كان مراده مجيئهم اليها هو دخولهم فيها حين الولادة مع انه في الظاهر الامر هو المشبه ومفارقتهم هي المشبه به لانعكس الفرض...

---

1-نهج البلاغة :خ 111

2-ينظر:شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد:7/228



وأما الآية فإن -من-فيها البيان الجنس فلا تدل على المفارقة والانفعال(1).ويظهر لي ان البحراني اعتمد على البلاغة في اظهار معنى الخطبة واستخدم علم من علومها وهو المشبه والمشبه به فقد شبه الامام مجيء الخلق الى الدنيا ووجودهم فيها بخروجهم منها يوم يفارقونها ووجه الشبه بينهما هو كونهم حفاة عراة وقد استشهد على ذلك الإمام بقوله تعالى (كما بدأنا اول خلق نعيده).

1-ينظر:شرح نهج البلاغة ابن ميثم البحراني:3/85-86



وقال الشيخ محمد عبده ان المراد في قوله "عليه السلام" هذا :اي إنهم جاءوا الى الارض واتصلوا بها بعد مفارقتها وانفصلوا عنها في بدء خلقهم ،فأنهم خلقوا منها كما قال تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم)(طه: 55)وقوله "عليه السلام" قد ظعنوا عنها يشير الى أنهم بعد الموت يذهبون بأرواحهم أما الى نعيم وأما الى الشقاء ،او الظعن عنها هو البعث يوم القيامة ومفارقتهم أما الى الجنة او الى النار كما يرشد له الاستشهاد بالآية(1).

وقال مغنية ان قول الامام )فجاءوها كما فارقوها ،حفاة عراة) اختلف الشارحون في معنى هذه الجملة مع ان الإمام "عليه السلام" فسرها بقوله بلا فصل (قد ظعنوا عنها بأعمالهم الى الحياة الدائمة والدار الباقية)اي دخلوا القبور وهم لا يملكون شيء إلا اعمالهم كما انهم عند الموت فارقوا جميع ما يملكون أما الاستشهاد بالآية الكريمة فأنه مراد به ان المعاد حق لان الذي قدر على انشاء الاولى قادر على إنشاء الاخرى ) وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ( (2)

ويبدو ان مغنية اعتمد على النص في اظهار معناه فأن قول الإمام فسر بعضه البعض حيث قوله "عليه السلام"(فجاءوها كما فارقوها حفاة عراة) يفسرها ويوضحها قوله "عليه السلام"قد ظعنوا او رحلوا بأعمالهم الى الحياة الدائمة بعد الموت .

1-ينظر:شرح محمد عبده :1/220

2-سوره الروم :27

3-ينظر :في ظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية:2/495

## 46

وفي خطبة له "عليه السلام" في تنزيه الله عز وجل وتذكير الانسان بهداية الله وكيفية خلقه

(ليس لأوليته ابتداء ولا لأزليته انقضاء) وقال عليه السلام في الخطبة ذاتها (بدئت من سلالة من طين ووضعت في قرار مكين الى قدر معلوم وأجل مقسوم)(1)

قال ابن ابي الحديد ان الامام علي *عليه السلام* أورد في هذه الخطبة ضروبا من علم التوحيد وهي مبينة على أصول والاصل الاول فيها:إنه تعالى واجب الوجود لذاته ويتفرع من ذلك إنه تعالى ليس لأوليته ابتداء لأنه لو كان كذلك لكان محدثا ،ولا شيء من المحدث بواجب الوجود وقال في شرح قوله (بدئت من سلالة من طين )اي كان ابتداء خلق الانسان من سلالة هي خلاصة الطين لانهما سلت من بين الكدر وفعالة بناء للقلقة القلامة والقمامة .

وقوله عليه السلام ووضعت في قرار مكين "الكلام الاول لآدم الذي هو أصل البشر الثاني لذريته ،والقرار المكين :الرحم متمكنة في موضعها برباط ماتها ،ولانها لو كانت متحركة لتعذر العلوق.

وقوله عليه السلام"الى قدر معلوم، واجل مقسوم*الى متعلقة بمحذوف كأنه قال منتهيا الى قدر معلوم اي مقدار طوله وشكله الى اجل مقسوم في حياته)(2).

يظهر ان ابن ابي الحديد قد ارتكز في شرح هذه الخطبة على اعتقاده بالتوحيد وان اللهـ عز وجل هو واجب الوجود وحده لا غيره لان اللهـ ليس لأوليته ابتداء وانه تعالى باقي على الازل فلا ينقضي ولاينتهي.وفي الشطر الثاني من الخطبة قد وضح الإمام كيفية خلق ادم وان الله عز وجل خلقه من طين وهو اصل البشر ثم وضع ذريته في ارحام النساء ووضع لكل واحدآ من البشر قدر معلوم واجل مقسوم اي مدة حياته التي يعيشها في هذه الدنيا .

1-نهج البلاغة :خ 63

2-ينظر :شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد :9/253



اما البحراني فأنه يرى ان مراد الإمام عليه السلام في قولته هذه قد بين مباحث من علم التوحيد باعتبارات ومنها الاعتبارات السلبية:كونه تعالى لا ابتداء لأوليته اي لا حد لكونه اولا للاشياء تقف عنده أوليته وتنتهي به وإلا لكان محدثا فكان ممكنا فلم يكن واجب الوجود ولا إنقضاء لأزليته اي لاغاية ينتهي عندها وينقضي وإلا لقابل العدم فلم يكن واجب الوجود .وقوله (بدئت من سلالة من طين)فيها خطاب للانسان كي يعرف كيف بدأ الله عز وجل خلقه وتصويره شيئا فشيئا الى حال كماله ووضعة ،وكذلك نبهه بتقليبه في حالات واطوار خلقته باستفهامه عمن هداه لاجترار غذائه من ثدي امه)(1)

والبحراني بقوله هذا لايختلف مع ابن ابي الحديد لان قوله بأن الخطبة تتضمن مباحث من علم التوحيد إنه تعالى ليس لأوليته ابتداء لانه واجب الوجود وواجب الوجود ليس له حد يبتدأ منه او حد ينتهي إليه وفي بيان قول الإمام عليه السلام الثاني الذي يتكلم فيه عن كيفية ابتداء خلق الانسان فان ابن ميثم ايضآ لايبتعد عن المعنى الذي جاء به ابن ابي الحديد

من ان هذه الخطبة او هذا المقطع منها بين فيه الإمام كيف بدأ الله عز وجل خلق الانسان ثم يمر بأطوار ومراحل حتى يعود بعد ذلك الى من خلقه .

واطلعت على ماقاله الشيخ محمد عبده فلم يقف عند بيان هذه الكلمات لأمير المؤمنين كثيرا ولكنه اوضح معنى السلالة قال (من الشيء، ما انسل منه .والنطفة مزيج ينسل من البدن المؤلف من عناصر الارض المخلوطة بالمواد السائلة)(2)

1-ينظر :شرح نهج البلاغة لميثم البحراني:3/278-281

2-ينظر:شرح نهج البلاغة محمد عبده :2/67

## 48

بينما يرى محمد جواد مغنية يقول :(ان الله وحده جلت عظمه ،واجب الوجود ،ومبتدأ كل كائن ،ومن وجب وجوده بالذات فهو موجود اولا وابديا لا بداية له ولا نهاية له ولو سبقه العدم لم يكن اولياء ،ولو انتهى وجوده لم يكن أبدياً) وهو بقوله هذا يقترب الى ماقاله ممن سبقوه وان في هذه الخطبة علوم من علم التوحيد وفي هذه العلوم انه تعالى ليس لأوله إنتهاء او انقضاء وانه واجب الوجود ويقول مغنية ان قول الإمام (بدئت من سلالة من طين)ان هذه القوله هي ترجمان للقرآن وخاصة قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين*ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا ءاخر فتبارك الله احسن الخالقين)(1)

---

1-ينظر:في ظلال نهج البلاغة محمد جواد مغنية :5/396-

**والشيرازي يرى ان قوله "عليه السلام" (والابتداء أزله )تشير هذه العبارة الى ان الذات الأزلية والأبدية اسمى من ان يكون لها ابتداء .**

**ويقول أما ما قاله "عليه السلام" (ان الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كلن قبل ابتدائها )وان قوله هذا مواصلة لكلامه السابق بشأن وجود العالم . وان الله سبحانه يعود وحده لاشيء معه بعد فناء الدنيا فأنه عز وجل هو من أوجد الدنيا وهو سابق لها ويبقى بعد فنائها .ثم يذكر الشيرازي ان قوله (بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها ،وبغير امتناع منها كان فنائها )هو اشارة الى تسليم جميع عالم الخلقة لإرادة الله سبحانه ،فليس له من اختيار في بداية خلقه ولاحين زواله ونهاية حياته ،فلو كان خلقه وفناؤه لعاش الخلود ،فمما لا شك فيه كائن يسعى لبقائه(1)والشيرازي بقوله هذا لا يبتعد عن من سبقوه في معنى هذه الخطبة المباركة لان هذه الخطبة هي في توحيد الله عز وجل وكل يقولون بوحدانيته "عز وجل" وأنه هو الموجود قبل ابتداء كل شيء وموجود وباقي بعد فناء كل شيء كما في قوله تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)(2)**

---

**1-ينظر :نفحات الولاية للشيرازي:7/169-170**

**2-الرحمن :27**



**قال "عليه السلام"في خطبة تسمى التوحيد وتجمع من أصول العلم مالاتجمعة**

**(سبق الاوقات كونه،والعدم وجوده ،والابتداء أزلة)**

ويقول في موضع آخر من الخطبة (وإن الله سبحانة يعود بعد فناء الدنيا وحده لاشيء معه ،كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها )ويقول عليه السلام في وصف الدنيا(بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها ،وبغير امتناع منها كان فناؤها )(1)

ذكر ابن ابي الحديد ان قول امير المؤمنين "عليه السلام"(سبق الاوقات كونه ...والابتداء أوله) هو تصريح بحدوث العالم فان قلت مامعنى قوله والعدم وجوده ،وهل يسبق وجوده العدم مع كون عدم العالم في الأزل لا أول له؟قلت ليس يعني بالعدم ها هنا عدم العالم بل عدم ذاته سبحانه اي غلب وجوده ذاته عدمها وسبقها فوجب له وجود يستحيل تطرق العدم اليه أزلا وأبدآ بخلاف الممكنات . وابن الحديد في قوله هذا يعود الى ماقاله سابقآ في التوحيد وإن دلالة وحدانية الله عز وجل هو قدرته على إحداث العالم وايجاده وابتداءه.

ويرى ابن ابي الحديد ان الإمام شرع اولا في ذكر اعوام الله سبحانه والجواهر ومايتبعها ويقوم بها من الاعراض قبل يوم القيامة ،وذلك لان الكتاب العزيز قد ورد به نحو قوله تعالى (كما بدأنا اول خلق نعيده)ومعلوم انه تعالى بداه من عدم فوجب ان تطون الاعادة من عدم ايضا ،وقال تعالى (هو الاول والأخر)وانما كان أول لانه كان موجودا ولاشيء من الاشياء بموجود ،فوجب ان يكونوآخر.

وبما ان هذه الخطبة هي في التوحيد فلا تخلو من مباحث علم التوحيد ومنها ان الله سبحانه وهو الباقي بعد فناء الاشياء كما كان عز وجل قبل ابتداء خلقها فكان وحدة موجود.

واما قوله (بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها وبغير امتناع منها كان فناؤها)

يقول ابن ابي الحديد ان الإمام يتكلم عن الدنيا وانها مسخرة تحت الامر الالهي قال(ولو قدرت على الامتناع لدام بقارها)(2)

وقوله هنا واضح في الدلالة حيث تكلم عن الدنيا وانها عاجزة عن ابتداء خلقها وعن الممانعة في فناؤها فهي طائعة لله سبحانه في كل شيء.

---

1- نهج البلاغة خ 186
2- ينظر شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد:13/72-92



وتطرق ابن ميثم قائلا :ان هذه الخطبة فيها ضروبا من التوحيد والتنزيه المحقق وإشارة الى توحيد لله عز وجل والابتداء أزله وذلك ان الأزل عبارة عن عدم الأولية والابتداء وذلك امر يلحق واجب الوجود لما هو بحسب الاعتبار العقلي وهو ينافي لحوق الابتداء والأولية لوجوده تعالى فاستحال ان يكون له مبدء لامتناع اجتماع النقيضين بل سبق بأزلية ابتداء ماكان له ابتداء وجود من الممكنات اذ هو مبدأها ومصدرها)(1)

وهذه الخطبة كسابقاتها من الخطب في توحيد الله عز وجل وتنزيه ومن صور التوحيد هو ان الله تعالى واجب الوجود لان الابتداء أزله والازل عبارة عن عدم الأولية والابتداء والله سبق بأزله وقدمه كل شيء وهو مبدأ او مصدر الممكنات جميعها.

ويذكر ابن ميثم ان قوله عليه السلام:انه سبحانه ويعود بعد فناء الدنيا إشارة الى كونه تعالى باقيآ ابدا فيبقى بعد فناء الاشياء وحده لاشيء معه منها كما كان قبل كذلك بريئا عن لحوق الوقت والمكان والحيز والزمان ).

وقوله :بلا قدرة ...الى فنائها)إشارة الى انه لاقدرة لشيء منها على ايجاد نفسه ولا على الامتناع من لحوق الفناء له(1)

بينما محمد جواد مغنية قال:ان قوله عليه السلام (والعدم وجوده والابتداء أزله)يعني :الله هو الاول بالوجود والقدم واذن فهو منزه عن العدم من قبل ومن بعد بتشعيرة المشاعر عرف ان لا مشعر له )خالق الانفعال لا ينفعل لان الخالق لا يوصف بخلقه (2)

---

1- ينظر :شرح نهج البلاغة لميثم البحراني:4/140-163
2- في ظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية .4/93.



ويتبين من هذا ان مغنية لايختلف عن الاخرين القائلون بان هه الخطبة في توحيد الله عز وجل وانه هو الاول بالوجود وهو منزه عن العدم لانه خلق الكون من عدم وه خالق كل شيء .وان اللهـ سبحانه يعود بعد فناء الدنيا كان الله لم يكن معه شيء ويبقى بعد فناء كل شيء بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان ،حيث المكان الجسم او وضع خاص للجسم والزمان المعروف بالسنين والشهور والايام...

وهو عبارة عن دوران الارض حول نفسها وحول الشمس وبعد فناء كل شيء لا ارض ولا شمس ولا كل شيء والحاضر فلا شيء لا الله الواحد القهار الذي اليه مصيرجميع الامور منه تبتدئ واليه تنتهي بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها وبغير امتناع منها كان فناؤها ،هذا رد على من قال (ان الاشياء وجدت اول ما وجدت من مادة لطيفة كانت تملأ الكون .

**53**

**وجاء في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في مزايا التقوى ثم وصف دين الاسلام**

**(فأني اوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم وإليه يكون معادكم)(1)**

**لم يتطرق ابن ابي الحديد الى شرح هذا المقطع من الخطبة المباركة (2).**

**اما البحراني فأنه قال أن قول الإمام هذا إنه وصية بتقوى اللهـ وقرنها باعتبارات من صفات تعالى توجب الفزع إليه وهي كونه سبحانه مبدءا لخلقهم ومنتهى لمعادهم الحسي والعقلي كقوله تعالى (وهو الذي خلقكم اول مرة وإليه ترجعون)(3).**

**ان ابن ميثم في قوله هذا اوجز الكلام عن هذه الخطبة وان قوله "عليه السلام"فيه وصية بتقوى اللهـ لان هو من ابتدأ الخلق واليه يكون معادهم .**

**بينما مغنية لم يبتعد عن ابن ميثم في بيان معنى هذه الخطبة قال:ان قوله "عليه السلام" اوصيكم بتقوى اللهـ الذي ابدأ خلقكم *وهو سبحانه بدأ الخلق ثم يعيده (4).واكتفى بهذا الايجاز.**

1-نهج البلاغة :خ 198

2-ينظر:شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد:10/188

3-ينظر:شرح نهج البلاغة ابن ميثم البحراني :3/416

4-ينظر:في ظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية :3/193

**54**

**والشيرازي لم يبتعد عمن سبقوه ايضا قال انها وصية بالتقوى وقرنها الامام ببعض صفات الله تعالى ليؤجج في قلوبهم نيران عشق التقوى والورع فقال(اوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم وإليه يكون معادكم) كما قال تعالى(وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو)(النحل:53) (1)**

**بعد اطلاعي على اقوال العلماء في شرح هذه الخطبة أقترب احدهما من الآخر في المعنى وهو ان هذه الخطبة وصية من قبل الإمام عليه السلام في تقوى الله عز وجل وقرنها باعتبارات من صفات الله توجب الانقياد والتسليم اليه عز وجل وهي إنه تعالى ابتدأ الخلق واليه يكون معاد الخلق.**

1-ينظر:نفحات الولاية للشيرازي:7/516

55

من وصية له "عليه السلام"لعسكره قبل لقاء العدو في صفين

(لاتقاتلوهم حتى يبدأوكم فإنكم بحمد الله على حجة ،وترككم اياهم حتى يبدأوكم حجة اخرى لكم عليهم)(1)

قال ابن ابي الحديد ان الامام نهى اصحابة عن البغي والابتداء بالحرب وقد روى عنه إنه قال :مانصرت على الاقرام الذين قتلتهم إلا لاني ما ابتدأت بالمبارزة -ونهى- اذا وقعت العزيمة عن قتل المدبر ،والاجهاز على الجريح وهو تمام قتله(2)

واعتمد ابن ابي الحديد على توضيح قول الإمام بقول آخر له يوضح ما أراده من هذه الوصيه وهي ان من شجاعته 'عليه السلام' وشيمته لايبتدء هو بقتال العدو حتى يبدء العدو بالقتال

وانه لايقتل غدراً او غيلة إلا عن طريق المبارزة

والبحراني فانه يرى إن الإمام قد وصى في هذا الفصل بأمور:

احدهما ان لايقاتلوهم حتى يبدؤهم بالقتال ،وأشار الى ذلك يكون حجة ثانية عليهم وأوفى بالحجة الأولى الى قوله تعالى (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ )(الحجرات:9) والظاهر ان هؤلاء بغاة على الإمام الحق فوجب قتالهم .

وأما الثانية :فهي تركهم حتى يبدؤوكم الحرب وبيان هذا حجة من وجهين:

احدهما :أنهم إذا بدؤوا بالحرب فقد تحقق دخولهم في حرب الله وحرب رسول الله لقوله :حربك ياعلي حربي.

والثاني : ان البادي بالحرب معتدا ابتدءا وكل معتد كذلك فيجب الاعتداء عليه ،لقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه)(3)

فقد بين البحراني جملة من وصايا أمير المؤمنين "عليه السلام" في الحرب ومنها عدم الابتداء بحرب العدو اولا هو حجة عليهم حتى لا يكونوا بغاة لان البادي أظلم وتركهم حتى يبدأ العدو بالقتال حجة ثانية عليهم لأنهم إذا بدئو الحرب قد تحقق دخولهم في حرب الله بناء على الآية الكريمة .

---

1-نهج البلاغة :ر 14

2-شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد :15/104

3-ينظر:شرح نهج البلاغة ابن ميثم البحراني:4/337

56

ومغنية جاء بما قاله ابن أبي الحديد حيث قال إنها وصية لمعسكره ان لا يبدؤهم الحرب لأن البادي أظلم كما قال "عليه السلام"(الظالم غداً بكفة غصة) كناية عن الندم واستشهد بالأية التي وردها البحراني ( وَإِن

طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ)(1)

وقال الشيرازي أن هذه الخطبة تمثل دستوراً للجيش الإسلامي فقد اوصى أمير المؤمنين "عليه السلام" بعدة وصايا منها(لاتقاتلوهم حتى يبدؤوكم) فإنكم بحمد الله على حجة وترككم اياهم حتى يبدؤوكم حجة اخرى لكم عليهم )فأنتم من اتباع إمام يتفق على مشروعيته وحقانيته الباري تعالى وجميع المؤمنين ،فلا يكون بدؤكم بالقتال حجة لهم ضدكم وترككم لهم حتى يكون البادئ هو العدو يمثل حجة أخرى تدعم موقفكم وهذه الوصية قد تقدم بها النبي الاكرم "صلى الله عليه واله وسلم" لجيش الإسلام وكانت نتيجة ذلك كما بينه الإمام "عليه السلام" إن جيش الإسلام يمتلك حجيتين وبرهانين ضد العدو

الاول إنه تابع للنبي الأكرم او الإمام الذي يتمتع بمشروعيته .

والأخر العدو عندما يبتدئ الحرب والقتال يقدم عملياً دليلا اخر ضده لانه يكون سببا في قتال الابرياء .(2)

---

1-ينظر:في ظلال نهج البلاغة محمد جواد مغنية:3/418

2-ينظر:نفحات الولاية :ناصر مكارم الشيرازي:7/162



وبعد ما قمت بتتبع لفظة البدء والابتداء في نهج البلاغة لأميرالمؤمنين "عليه السلام" وجدت إنه وردت في عدة مواضع واختلفت مضامينها حسب سياق كلامه "عليه السلام" وأخترت ما ابحث عنه وهو حقيقة البدء والابتداء فلاحظت أنها وردت في عدة خطب ومنها الخطبة الأولى التي تتكلم عن ابتداء خلق السموات والأرض وكيف أن الله أنشا الخلق إنشاء وابتداه أبتداء ،كما بين ذلك الأمام "عليه السلام" وإنه تعالى عالماً بكل شيء خلقه قبل ابتداء خلقه وبعد فناؤه .وفي خطبة أخرى له "عليه السلام" في تنزيه الله تعالى وبين فيها الإمام ان خلق الكون لم يثقل الله عزوجل لأنه هو من ابتدأه وفي موضع أخر من قوله "عليه السلام" في وصف اهل القبور، عندما تكلم بها الإمام عن الموتى عندما يفارقون الدنيا حفاة عراة وإنه "عليه السلام"

قد ضمن هذا في قوله عن حديث عن رسول الله "صلى الله عليه واله وسلم" عندما قال(تحشرون يوم القيامة حفاة ،عراة) واستشهد بقوله تعالى(كما بدأنا اول خلق نعيده وعدآ علينا ان كنا فاعلين)

وكذلك تكلم الإمام "عليه السلام" في الخطبة له في تنزيه الله عز وجل وبيان كيفية خلق الإنسان عندما قال ان الله تعالى ليس لأوليته ابتداء فهو الاول والاخر أي من بدأ الخلق وكان موجود قبل ابتداء الخلق ويبقى بعد فناء الخلق وتكلم الإمام "عليه السلام" عن بدأ خلق الأنسان وإنه خلق من سلالة من طين ووضع في قرار مكين اي رحم المرأة الى قدر معلوم اي مدة معينه يعيشهما الانسان في الحياة ثم يعود الى الله عز وجل والحياة الاخرة .

وفي خطبة عظيمة له "عليه السلام" في التوحيد ذكر ان الله سبحانه سبق الاوقات وجوده والابتداء ازله اي انه تعالى موجود وباقي قبل المخلوقات وبعد عدمها وهو باقي في الازل. وقال عليه السلام انه تعالى يعود بعد فناء الدنيا وحده كما كان قبل ابتدائها وذكر في الخطبة ذاتها في وصف الدنيا (بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها وبغير امتناع منها كان فناؤها) وقال ايضا في كلام له مزايا التقوى حيث اوصى بتقوى الله الذي ابتدأ خلق الانسان واليه يكون معاده لانه تعالى هو المبدئ والمعيد .

وتطرق الإمام في وصية له لمعسكرة قبل لقاء العدو حيث اوصاهم بعدم البدء بالقتال حتى يبدأ العدو بذلك حتى تكون حجة عليهم .

ولم يبتعد الشراح في بيان هذه الخطب رغم اختلاف مذاهبهم بل اقترب احدهما من الاخر في كثير من الاحيان وخاصة في خطبة التوحيد لان الجميع يؤمنون بوحدانية الله عز وجل وإنه واجب الوجود.



## الفصل الرابع

## المفهوم بين القرآن والنهج

**اولا: الاقتباس المباشر**

**ثانيا: الاقتباس لغير مباشر**

**ثالثا:التوظيف**

**<u>الاقتباس في اللغة</u>**

**يعني الأخذ من الشيء كما جاء في اللسان بأن القبس الشعلة من النار واقتبسها الأخذ منها كما في قوله تعالى( بشهاب قَبَسٍ ))النمل:7)(1).**

**اما في الاصطلاح :هو ان يضمن الكلام نثرآ كان او نظما شيئا من القرآن او الحديث (2).**

**وقال الراغب ان القبس المنتاول من الشعلة والقبس طلب ذلك ثم الاستعارة لطلب العلم والهداية قال تعالى (انظروا نقتبس من نوركم)(3).**

1-ينظر:لسان العرب،ابن منظور:8/89-90

2-ينظر:التعريفات ،للجرجاني:37

3-ينظر:مفردات الفاظ القرآن للراغب الاصفهاني :37



**التضمين لغة**

**قال صاحب اللسان ان ضمن :الضمين ،الكفيل ضمن الشيء وبه ضمنا كفل به وضمته إياه :كفله يقال ضمت الشيء اضمته اضماما فأنا ضامن وهو مضمون ،وفي الحديث :من مات في سبيل الله من وضامن على الله ان يدخله الجنة اي ذو ضمان على الله)(1).**

**التضمين في الاصطلاح**

**قال صاحب التعريفات التضمين:(حمل الشيء في ضمن الشيء متمثلا عليه،والتضمين في الشعر ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلق معنوي لايصح الإ به ،والتضمين المزدوج :ان يقع اثناء قرائن النثر او النظم لفظان منسجمان بعد رعاية حدود الاسجاع والقوافي(2).**

1-لسان العرب لابن منظور:13/256-258

2-التعريفات للجرجاني:62



بعد ما تتبعت مواطن كلمة البدء والابتداء في القرآن الكريم وتعرضت الى تفسير هذه الآيات وتطرقت الى متابعة مفردة البدء والابتداء في نهج البلاغة وقمت بشرح هذه الخطب وما قاله الشراح عن هذه الخطب وجدت ان الإمام"عليه السلام" لم يغادر القرآن في كلامه الإ واقتبس منه آية وضمن اخرى في حديثه .

ففي خطبته الاولى الذي يذكر فيها ابتداء خلق السموات والارض عندما قال "عليه السلام" (أنشأ الخلق إنشاء ،وابتدأه ابتداء)

وقال "عليه السلام" في الخطبة ذاتها (وأحال الاشياء لأوقاتها ولأم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اشباحها عالماً بها قبل ابتدائها محيطاً بحدودها وانتهائها ) فأن من خلال التتبع والتقصي وجدت ان هناك ترابط وتماثل بين قول امير المؤمنين في هذا المقطع من الخطبة المباركة وما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى ( قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(العنكبوت:20)

وان الترابط بين كلام الإمام وما جاء في القرآن الكريم ،فقد قال المفسرين ان المراد من كلام الله عز وجل فقد قال المفسرون ان المراد من كلام الله عزو جل هو خطاب للذين ينكرون الإعادة بأن ينظروا كيف ان الله عز وجل قادر على ان يبدأ الخلق وأنشاءه وان الله كما بدأ الخلق قادر على إنشاء او إيجاد الاخرة وأنشأها ان الله قادر على كل ذلك(1)

وهذا المعنى قد ترجمه الإمام في خطبه فقد قال الشراح ان الله ابتدأ الكون وأوجده على غير مثال سابق واثبت علماء الطبيعة العالم حادث والله اوجد الكون من لاشيء .

وبعد هذا يظهر لنا ان الإمام عليه السلام اقتبس من الأية معناها في خطبته وهذا اقتباس معنوي كما يعبر عنه.(2)

---

1-ينظر:الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل للزمخشري:3/202

2-ينظر:في ظلال نهج البلاغة ،محمد جواد مغنية:1/29

وقال "عليه السلام " في خطبة في تنزيه الله عز وجل

(لم بينا عنها فيقال هو منها بائن .ولم يؤده خلق ما ابتدأ ولاتدبير ماذرأ ولا وقف به عجز عما خلق )

وبعد ان اطلعت على شرح هذه الخطبة وجدت ان هناك ربط بين هذه الخطبة والمقطع هذا منها وما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى(أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ( (العنكبوت : 19)

حيث قال المفسرون ان قوله تعالى يدل على ان الله هو المبدئ والمعيد فهو بدأ الخلق ثم الخلق إليه يعودون وان الإعادة على الله يسيرة جدا وغير متعذرة لان من بدأ الخلق قادر على اعادته .

وهذا المعنى اقتبسه الإمام حيث انه قال ان الله عزو جل لم يثقله او يتعذر عليه خلق ما ابتدأه فأن ذلك على الله يسير .

وهذا هو الاقتباس المعنوي كما يقال عنه فأن الإمام اقتبس المعنى وضمنه في حديثه ليزداد حجة وبرهان ونرى الإمام قد

يوحي الى قوله تعال (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(الروم:27)

فقد قال المفسرون ان الله عز وجل ابتداء الخلق ثم إليه يعود الخلق وان الخلق الأول والإعادة سهلة ويسيرة على الله واعادة الخلق أهون واسهل عليه من بدء الخلق واهون معنى هين ويسير.

والشراح لم يبتعدوا عما قاله المفسرون في بيان خطبة الإمام "عليه السلام" ان الله أنشأ وحكم وقدر ودبر وامات وأحيا لاقسراً وقهرك ولا لغاية تعود عليه وبلا تعب وكلل لانه ( إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)(ال عمران:46)

---

1-ينظر :مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي:8/57

2-ينظر:في ظلال نهج البلاغة محمد جواد مغنية:2/65



والاقتباس المعنوي واضح وقد ترجمه الإمام "عليه السلام" في هذا المقطع من الخطبة المباركة.

وقال "عليه السلام" في تنزيه الله عزو جل (ليس لأوليته ابتداء ولا لأزليته انقضاء...بدئت من سلالة من طين ووضعت في قرار مكين ،الى قدر معلوم وأجل مقسوم)

وظهر ان الآية المباركة تبين ان بدء خلق ادم كان من الطين الذي أحسن الله تعالى خلق ادم من طين ثم انسلت منه ذريته والإمام "عليه السلام" قد بين هذا المعنى عندما قال بدئت من سلالة من طين اي بدأ خلق أدم كان من طين ثم وضع في قرار مكين اي رحم المرأة الى أجل معين وهي مدة الحمل .

وهذا هو الاقتباس المعنوي كما وصف فأن الإمام "عليه السلام" اقتبس معنى الآية في كلامه الشريف. اما خطبته العظيمة في التوحيد قال"عليه السلام"(سبق الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداء أزله ...وإن الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لاشيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها ...بلاقدرة منها كان ابتداء خلقهما وبغير امتناع منها كان فناؤها)

فأن مجرد قراءة هذه الكلمات العظيمة للإمام "عليه السلام" ينتقل الذهن الى قوله تعالى(وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(القصص:88)

وكذلك قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجهك ربك ذو الجلال والإكرام)

فأن الإمام قد بين في كلامه كيف ان الله عزو وجل واحد لاشيء معه وأنه تعالى سبق الاوقات وجوده وإنه تعالى يعود بعد فناء كل شيء كما قال الله عز وجل (كل من عليها فان) وحده لا احد معه كما كان تعالى قبل خلق السموات والارض فأن الخلق والحياة الدنيا بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها وبغير امتناع منها يكون فنائها وانتهائها وهلاكها كما قال تعالى (كل شيء هالك) ويومئذ يبقى الله عزو وجل دون سواه كما قال تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام).

وهذا هو الاقتباس المعنوي واضح وجلي ومترابط بين النهج والقرآن .

وذكر "عليه السلام" في مزايا التقوى(فإني أوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم واليه يكون معادكم)

63

فأنني اكاد ان اتلمس ان هناك ربطآ معنويآ بين قول الإمام "عليه السلام" وبين قوله تعالى ( قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ)(الاعراف:29)

وكذلك قوله تعالى(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)(الانبياء:104)

وكذلك قوله تعالى(إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ)(البروج:13)

كل هذه الآيات وما فيها من معاني نجد إن الإمام "عليه السلام" أجمل معاني هذه الآيات في عبارة واحدة عندما أوصى بتقوى الله معلل ذلك قائلا بأن الله ابتدأ الخلق وإليه يكون معادكم وهذا العبارة اظهرت المعنى من كل هذه الآيات والمعنى هو ان الله تعالى ابتدأ الخلق وإليه يكون معاد الخلق ويجب تقوى الله على هذا السبيل والإعادة او يوم المعاد وعدا من الله وإنه تعالى الموجد المبدئ وهو المعيد ،وهذا هو الاقتباس المعنوي بعينه قد ترجمه الإمام في قوله وأجاد احسن إيجاده.

ولم يكتف الإمام عليه السلام بالاقتباس المعنوي من النص المبارك بل إنه اقتبس اللفظ القرآني ففي خطبة له في وصف أهل القبور قال عليه السلام(استبدلوا بظهر الارض بطنا وبالسعة ضيفا وبالأهل غربة وبالنور

ظلمة ،فجاءها كما فارقوها ،حفاة عراة ،قد ظعنوا عنها بأعمالهم الى الحياة الدائمة والدار الباقية، كما قال سبحانه *كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين*)

فأنني اتضح لي من خلال المتابعة ان امير المؤمنين عليه السلام اقتبس في خطبة هذه من القرآن الكريم اقتباس معنوي واقتباس لفظي ،فالاقتباس المعنوي يكمن في الارتباط في المعنى بين قول الإمام عليه السلام عندما قال (فجاءوها كما فارقوها حفاة عراة)

فقد جاء في تفسير قوله تعالى (كما بدأكم تعودون) ان الله تعالى كما بدأ الخلق اليه حفاة عراة نقلا عن الرسول "صلى الله عليه واله وسلم" (تحشرون يوم القيامة حفاة عراة)(1).

فأني لاحظت كيف ان الإمام "عليه السلام" ضمن الحديث في كلامه وأشار والمح للآية المباركة .والارتباط بين كلام الإمام وكلام الرب ليس معنوي فقط بل هناك اقتباس لفظي عندما استشهد الإمام بقوله (كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين)

1-ينظر:جامع البيان في تأويل القرآن للطبري:5/465



وفي رسالة له عليه السلام لجيشه ينهاهم عن البدء بمقاتلة العدو حيث قال(لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم فإنكم بحمد الله على حجة وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم)

ان قوله هذا ارتبط بقوله تعالى عندما أمر المسلمين بمقاتلة الكافرين عندما بدؤهم بمقاتلة المسلمين فأن المفهوم من الأية المباركة لا يبدأ المسلمين اولا لان البادي أظلم كما قال المفسرون(1).

في تفسير قوله تعالى(أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)(التوبة:13)

ونلاحظ ان الإمام عليه السلام قد ألتزم بما جاء في كتاب الله عز وجل وألزم به جيشه فقال لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم هم بالمقاتلة ليكون لجيش الإمام الحجة على اعدائهم وهذا دستور للأمة كما قال الشراح.(2).

1-ينظر:الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل للزمخشري:2/177

2-ينظر:نفحات الولاية للشيرازي:9/162



وأنني ارى أن الإمام عليه السلام قد وظف عبارة أو كلمة البدء والابتداء توظيف رائع وجميل جدا وفي سياقات متعددة واعطت معاني عظيمة وكثيرة وكان مساويا توظيف هذه الكلمة مع القرآن الكريم ولم يخرج عن ما جاء في القرآن من معاني للبدء والابتداء فنجده عليه السلام يوظف ويجعل هذه الكلمة في كلامة عن ابتداء خلق السماء والارض مرة ومرة يتكلم عن تنزيه الله عز وجل ويبين في موضع آخر عن بدأ خلق آدم من طين ويذكر في مورد اخر عن توحيد الله عز وجل في خطبته العظيمة في التوحيد وبوظف الحكمة في وصية له لتقوى الله الذي ابتدأ خلق الكون وإليه يكون معاد الوجود .

ويستخدم الإمام عليه السلام هذا المفهوم في وصف أهل القبور ويقتبس من القرآن اقتباس لفظي ومعنوي كما لاحظنا إنه استشهد بقوله تعالى (كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين)

ووظفها ايضا في رسالة له الى جيشه عندما نهى أصحابه عن البدء بمقاتلة العدو حتى يبدوهم

وكل هذه السياقات التي وظف فيها الإمام عليه السلام هذا المفهوم كانت منسجمة مع السياق القرآني الذي جاءت فيها هذه الكلمة

وهكذا يتبين لنا العلاقة الوثيقة بين الإمام والنص القرآني فأنها علاقة راسخة وثابتة وقد اشهد النبي "صلى الله عليه واله وسلم" بتلك العلاقة بقوله علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يرد علي الحوض)من خلال البحث عن مواضع كلمة البدء والابتداء في القرآن الكريم ونهج البلاغة اتضحت لنا تلك العلاقة الكبيرة حيث ان الإمام بين القرآن وفسره وترجمه بصورة رائعة وجميلة وبسياقات مختلفة في نهج البلاغة وصح ما قيل بأن الإمام علي ترجمان القرآن فأنني شاهدت كيف ان الإمام اقتبس من القرآن مفهوم البدء والابتداء اقتباس معنوي ولفظي ووظف هذا المفهوم في سياقات متعددة وبمعاني مختلفة ولكنها منسجمة مع معاني القرآن الكريم .

## الخاتمة

من خلال البحث نستنتج ان معنى كلمة البدء في اللغة هي أفتتاح الشيء يقال بدأت بالأمر وابتدأت من الابتداء والإبتداء في الاصطلاح هو تقويم الشيء على غيره ضربا من التقويم.

1-وإن كلمة البدء وردت في القرآن الكريم في اربعة عشر أية قرآنية وجاءت صريحة ثلاث مرات كما في قوله تعالى (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ) )السجدة /7) (1).

2-وجاءت مشتقة في احد عشر آية مباركة منها قوله تعالى(قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُ( الاعراف/29)(2)

وان تفسير الآيات التي وردت فيها هذه المفردة اختلف حسب سياق الآية المباركة ولكن معناها اللغوي يبقى بأن البدء هو فعل الشيء على غير مثال سابق او هو ابتداء او افتتاح الشيء فأن الله تعالى هو المبدئ والمعيد.

---

1-سورة يوسف /76،العنكبوت/20

2سورةالتوبة/13،يونس 34،الانبياء 104،النمل 64،العنكبوت/19،الروم/27،11،سبا/49،البروج/13



3-وتوصلت من خلال البحث أن كلمة البدء وردت في خطب كثيرة للإمام علي عليه السلام وان هذه الخطب كانت منسجمة مع الآيات القرآنية التي وردت فيها البدء ولم تخرج معاني الخطب عن معاني الأيات المباركة فمرة يتكلم عن ابتداء خلق السماء والارض فيقول *أنشأ الخلق إنشاء وابتدأه ابتداء*ومرة اخرى نجده عليه السلام يتحدث عن اهل القبور ويستشهد بقوله تعالى *كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين* ومرة اخرى يتحدث عن خلق أدم فيقول*بدئت من سلالة من طين*

**4-وإننا نلاحظ في هذه الخطب او غيرها للإمام عليه السلام ان كلامه كان منسجما مع القرآن وهناك ارتباط كبير وموضوعي فنجد ان المواضيع التي تتطرق لها القرآن الكريم قد تطرق لها الإمام عليه السلام وان مفهوم البدء عند الإمام اختلف بأختلاف السياق في الخطب من خطبة الى أخرى ولكنه ايضا يعود الى معناه الأصلي في اللغة وهي كون المبدء الذي بدأ الكون هو الله عز وجل اوجده من لاشيء .**



## المصادر والمراجع

***القرآن الكريم**

**أ-**

**1-اساس البلاغة ،أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد الزمخشري**

**تحقيق،محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان**

**الطبعة الاولى 1419/1998**

ب_

2-البرهان في علوم القرآن ،الزركشي،بدر الدين محمد بن عبدالله (ت 7948ه)

تحقيق،محمد أبو الفضل ابراهيم

الطبعة الاولى،1376ه/1957م

دار احياء الكتب العربية

ت_

3-تاج العروس ،محمد مرتضى الحسيني الزبيدي

تحقيق،مصطفى مجازي،

مطبعة حكومة الكويت،1389ه-1969م

4-التحقيق في كلمات القرآن ،العلامة المصطفوي

طهران -مركز نشر آثار العلامة المصطفوي 1385الطبعة الاولى.



5-التعريفات،السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني

تحقيق،محمد باسل عيون السود

دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ،الطبعة الثانية 1424ه-2003م

6-التوقيف على مهمات التعاريف ،زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي

تحقيق،عبد الحميد صالح حمدان

ج-

7-جامع البيان في تأويل القرآن ،أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري
دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ،الطبعة الرابعة 1426ه/2005م

8-جمهرة اللغة ،ابن دريد،أبو بكر محمد بن الحسن (ت 321ه)
بيروت -لبنان 1987م

د

9-دلالة السياق في آيات الاحكام التشريعية في تفسيري روح المعاني والميزان ،حيدر جبار دفتر الرفيعي،كلية الاداب ،جامعة القادسية.

س

10-السياق وانماطة وتطبيقاته في التعبير القرآني ،بحث خليل خلف بشير العامري /جامعة البصرة -كلية الاداب.



ش

11-شرح نهج البلاغة ،أبي حامد عز الدين بن هبه الله بن محمد ابن ابي الحديد
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العلمية ،الطبعة الاولى 1378ه-1959م

12-شرح نهج البلاغة كمال الدين ميثم بن علي ابن ميثم البحراني
منشورات دار الثقلين.

13-شرح نهج البلاغة ،محمد عبده الطبعة الاولى 1412ه

14-شرح نهج البلاغة ،صبحي الصالح ،دار الكتب المصري القاهرة
الطبعة الرابعة 1425ه/2004م

ص

15-الصحاح ،أبي نصر اسماعيل بن حمد الجوهري ،ت 398ه

تحقيق،أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله العزيز المغربي

دار احياء التراث العربي،الطبعة الرابعة 1426ه-2005م

ع

16-العين ،الخليل بن احمد الفراهيدي

تحقيق ،عبد الحميد حنداروي ،دار الكتب العلمية بيروت-لبنان

الطبعة الاولى 1424ه-2003م

ف

17-في ظلال نهج البلاغة ،محمد جواد مغنية

الطبعة الاولى 1425ه-2005م



ق

18-القرآن المجيد،محمد عزة دروزة ،بيروت لبنان

ك

19-الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،أبي القاسم جار الله محمود بن عمرو بن محمد الزمخشري

دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ،الطبعة الأخيرة 1385ه-1966م

20-كشاف اصطلاحات الفنون ،العلامة محمد علي بن محمد التهانوي ،وضع حواشيه احمد حسن بسبح

دار الكتب العلمية بيروت -لبنان،الطبعة الاولى 1418ه-1998م

ل

21-لسان العرب،العلامة ابن منظور ،تحقيق علي شيري،دار احياء التراث العربي بيروت –لبنان الطبعة 1408 -1988

الطبعةالاولى 1408-1988م

22-لطائف الإشارات ،إبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري(ت 465 ه)
تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن
دار الكتب العلمية بيروت -لبنان
الطبعة الاولى 1420ه-2000م



م
23-مجمع البيان في تفسير القرآن ،أبي علي الفضل ابن الحسن الطبرسي
تحقيق ،السيد هاشم الرسولي المحلاتي،دار احياء التراث العربي بيروت -لبنان
الطبعة الاولى 1456ه-1986م
24-مجمل اللغة ،ابن فارس،ابو الحسين احمد بن فارس
تحقيق زهير عبد الرحمن سلطان ،مؤسسة الرسالة بيروت -لبنان
الطبعة الثانية 1406ه-1986م
25-معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب ،مجدي وهبة وكامل المهندس ،
مكتبة بيروت -لبنان 1979م
26-المعجم الفلسفي ،جميل صليبا
دار الكتاب اللبناني الطبعة الاولى 1971م-
27-مفاتيح الغيب ،فخر الدين محمد بن عمرو بن الحسين بن الحسن ابن علي الرازي
دار التراث العربي ،بيروت -لبنان
الطبعة الرابعة 1422ه-2001م
28-مفردات الفاظ القرآن أبي القاسم الحسن بن محمد المفضل الراغب الاصفهاني

تحقيق صفوان عدنان راوودي ،دار العلم دمشق

الطبعة الرابعة 1425م

29-منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ،قطب أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت 573 ه)

تحقيق السيد عبد اللطيف الكوهكمرى

مطبعة الخيام -قم 1406م



30- المعجم المفهرس :محمد فؤاد عبد الباقي , دار الحديث القاهرة 1422 ه -2001 م

ن

31-نفحات الولاية ،ناصر مكارم الشيرازي

تحقيق عبد الرحيم الحمراني،الطبعة الاولى

تم بحمد الله